وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

الدولة العثمانية ومسلمي الأندلس خلال القرنين (10 .11)هـ/ (16 . 17)م

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

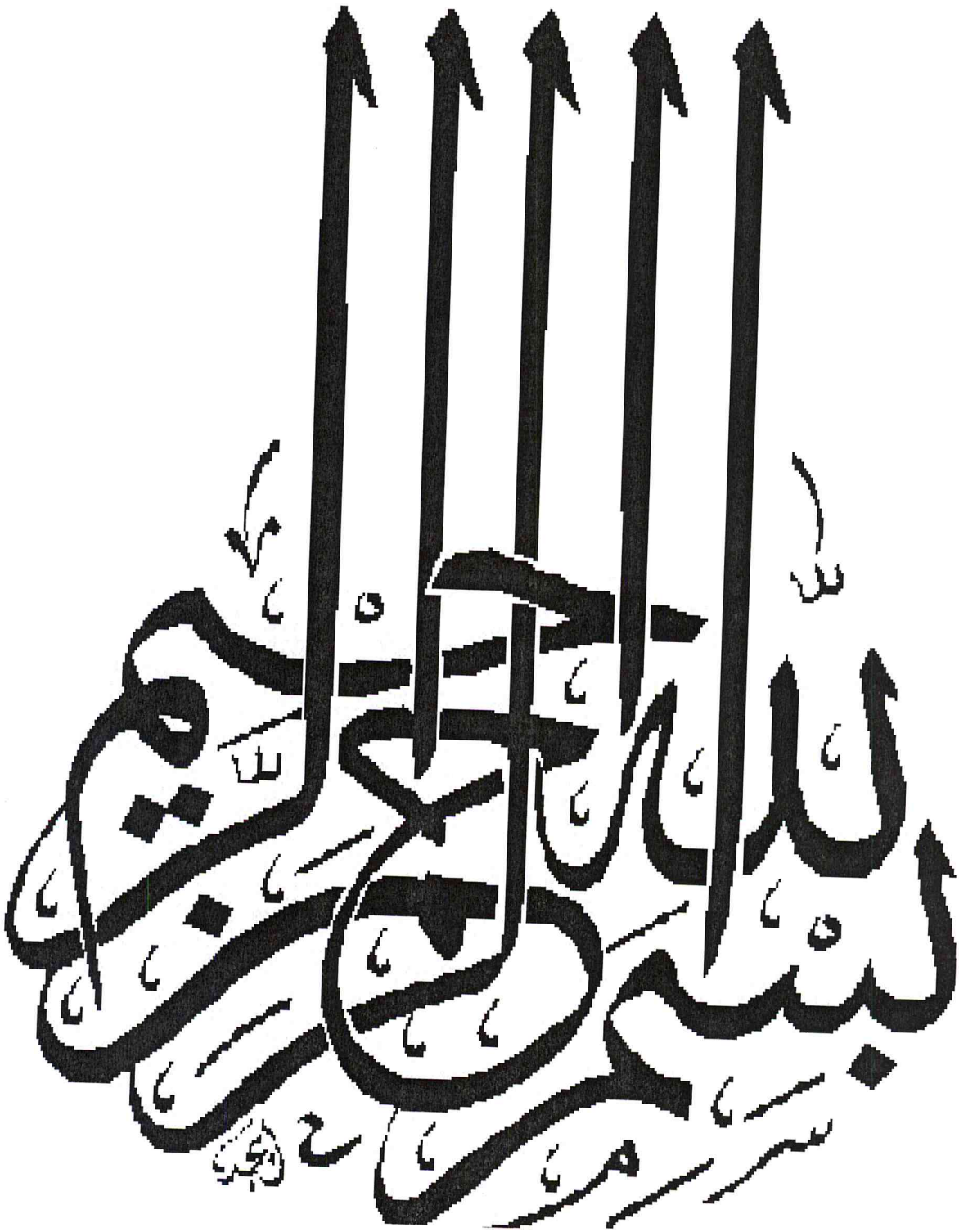
إعداد:
فتيحة لعرجوم
نعيمة حليمي

إشراف:
أ.د/عبد الحكيم ابن الشيخ

أعضاء لجنة المناقشة

إسم الأستاذ	الصفة
حميد قريتلي	رئيسا
حكيم ابن الشيخ	مشرفا ومقررا
لطيفة حمصي	مناقشة

السنة الجامعية:1435-1436هـ /2014-2015م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى:"**إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم**".

فالحمد لله عز وجل نحمده حمدا كثيرا على فضله ونعمته وإحسانه

نتقدم بالشكر الجزيل لجميع من احترقوا كالشموع ليضيئوا طريقنا وسبيلنا لطلب العلم

الشكر الجزيل لمعلمي الإبتدائية والمتوسطة والثانوية، وإلى أساتذة الجامعة ، كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف أ/د:عبد الحكيم بن شيخ، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته في مذكرتنا هذه.

إلى كل أساتذة قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبالأخص قسم التاريخ الحديث والمعاصر الذين ساهموا بكل دعمهم في إنجاز هذه المذكرة المتواضعة، وبما قدموه من مجهودات مثمرة ساعدتنا على الظفر بكم هائل من العلم والمعرفة

كما نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة

والحمد لله كل الحمد سبحانه

الإهداء

إلى أرواح شهداء جزائر، رحمهم الله و أسكنهم فسيح جنانه

جيران الأنبياء و الصدقين.

إلى منبـــع الحـــب و الحنـــان و حضـــن المـــودة والآمـــان

إلـــى التـــي سهرت الليالـــي وجادت لأجل سعادتـــي بكـــل غـــال

إلى التي تعهدتني بحنانها وغمرتني بدعواتها أمي العزيزة"فاطمة"

حفظها الله

إلى من علمني أن الحياة جد وكد، إلى من تعب لأرتـــاح وسهر لأنـــام

إلى من علمني أن أحيا حياة الاستقامة والطموح مثلي الأعلى أبي

"محمد" أدام الله

له الصحة والعافية.

إلى مورد الأنس و السعادة، إلى من يترقرق في صدري حبهم وتقاسمت

معهم

معنى الدفء والحنان ويعجز اللسان عن وصف ما فعلوه لأجلي إخوتي

وأخواتي:

بلخير و زوجته وأولادهم، بن علية وزوجته نوال، مسعود، توفيق

وحرمه والكتكوت

أكرم،منور،ناصر، أبوبكر، وأخواتي فضيلة و زوجها وابنها عماد،

وكريمةوزوجها

وأولادها،وإلى زوجي وسندي في الحياة وكل عائلته الكريمة

إلى صديقتي وزميلتي وأختي وحبيبة قلبي وروحي،التي كانت السند لي

في إعداد المذكرة،وفقها الله،ولكل عائلتها الكريمة "نعيمة حليمي".

وإلى صديقاتي وأخواتي فتحية، حفصة، أمال، صارة، حياة،

مريم...وأخريات اللواتي تقاسمت معهم مشواري الدراسي.

إلى كل الزميلات والزملاء بجامعة يحيى فارس بالمدية، و إلى كل من

ينبض قلبه حبا واحتراما ل:

لعرجوم فتيحة، فأنا أبادله نفس الشعور.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

-من حبهما فاق كل الحدود، ووصى عليهما الرب المعبود، من ربياني بلا قيود، وغمراني بالحنان الودود، إلى من أنار قلبي كالورود، أمي(كلثوم) وأبي (أحمد) حفظهما الله وأطال في عمرهما.

كل إخواني وأخواتي الأعزاء الذين غمروني بالحب والحنان :سليمة ، ناصر، وسيلة وزوجها العزيز سعيد، بلال ورشيد الغالي

إلى الأم الثانية و تاج العائلة " أم الخير" أطال الله في عمرها مع دوام الصحة

إلى كل العمات وأزواجهن، والأعمام وزوجاتهم، مع جميع أبنائهم، خاصة كل من:

"محمد، سلسبيل،هند، هاجر، أنس،سفيان، رانيا، شيماء،عادل، ابتهال، أريج، نجم الدين، وسيم ومنصف".

إلى كل الخالات وأزواجهن، والأخوال وزوجاتهم كل باسمه، مع جميع الأبناء حفظهم الله وأخص بالذكر "فاطمة الزهراء"

إلى رفيقة دربي و توأم روحي" فتيحة لعرجون"

إلى كل الحبيبات والصديقات اللواتي إلتقيتهن بالمشوار الدراسي:"فتحية، أمال، حفصة،مريم حياة ،سارة، نوال،هاجر، أسماء...وإلى كل من يحبني.

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد...وإلى كل أساتذة وطلبة جامعة الدكتور" يحيى فارس بالمدية "، خاصة طلبة تاريخ حديث ومعاصر.

نعيمة حليمي

مقدمة

يعد التاريخ الإسلامي من أهم التواريخ عامة، ويعتبر تاريخ الإمبراطورية العثمانية جزءا من هذا التاريخ الذي واصل الفتوحات الإسلامية ورفع راية الجهاد لإعلاء كلمة الله ضد الدول المسيحية، التي ضلت عقبة في نشر الإسلام وتحقيق الوحدة بين الأراضي العثمانية، وعليه عزمنا الخوض في دراسة موضوع الدولة العثمانية ومسلمي الأندلس، بحيث تعتبر القضية الأندلسية من أهم القضايا الشائكة التي شغلت دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط منذ مطلع القرن الخامس عشر، حيث أصبحت الدولة العثمانية تتزعم العالم الإسلامي خاصة بعد فتح القسطنطينية عام 1453م، هذا من جهة والمملكة الإسبانية التي كانت تمثل العالم المسيحي آنذاك وذلك بعد سقوط غرناطة عام 1492م من جهة أخرى ، حيث كانت تعتبر هذه المسألة من أهم المسائل الخطيرة لكلتا القوتين، بحيث أصبح إهتمام الإسبان ينحصر بتوحيد أراضيهم وإنتزاع ما تبقى للمسلمين بها وخصوصا بعدما خضعت لسلطة واحدة، حيث إندفعت سلطة المماليك الإسبانية قبيل سقوط غرناطة عام 1492م، في تصفية الوجود الإسلامي حيث ركزوا وبشكل كبير على المملكة الإسلامية الوحيدة ألا وهي غرناطة، حيث فرضت إسبانيا عدة إجراءات تعسفية وقمعية ضد المسلمين لمحاولة تنصيرهم وتضييق الخناق عليهم، حتى يرحلوا على شبه الجزيرة الإيبيرية، نتيجة لذلك لجأ المسلمون لإنتفاضات وثورات لكن هذه الأخيرة باءت بالفشل، هذا ما جعل مسلمي الأندلس يتطلعون إلى نجدتهم من طرف سلاطين الدولة العثمانية وخاصة المؤسسة الإنكشارية التي كان لها الدور الفعال في إنقذ هؤلاء المضطهدين من بطش الإسبان .

دواعي إختيار الموضوع :

يعود سبب إختيارنا لهذا الموضوع هو إهتمامنا لبعض جوانب التاريخ العثماني وبالأخص التاريخ الأندلسي، حيث لفت إنتباهنا موضوع الدولة العثمانية ومسلمي الأندلس والظروف التي أدت إلى تقهقرهم وإضطهادهم من طرف المماليك الإسبانية، بالإضافة إلى الدور الفعال الذي لعبته الدولة العثمانية في إنقاذهم، فدفعنا هذا السبب إلى تناول هذا الموضوع، بحيث يمثل لنا أهمية بالغة بالنسبة لتاريخنا الحديث .

فهذا ما قد شجعنا وبعث في أنفسنا الرغبة الشديدة لتناول هذا الموضوع ، وتسليط الضوء عليها بطريقة منهجية أكاديمية، بحيث يستفيد منها القارئ والباحث على حد سواء.

ويتعرف من خلالها على طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية ومسلمي الأندلس خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.

بالإضافة إلى دراسة متواضعة في إعادة، الأحداث التاريخية لهذا الموضوع في هذه الفترة،كما أن ندرة الدراسات الأكاديمية المفصلة فيه، شدتنا للخوض في غمار هذا الموضوع، أيضا محاولين إضافة شيئ ولو بالقليل إلى الكتابات التاريخية .

تكمن **أهمية هذه الدراسة** في التعرف على تاريخ الدولة العثمانية من جهة، والتاريخ الأندلسي من جهة أخرى والنكبة التي ألمت بهم بمطلع القرنيين السادس عشر والسابع عشر، وما موقف الدولة العثمانية من ذلك .

الإشكالية:

كيف كانت العلاقة بين الدولة العثمانية ومسلمي الأندلس خلال القرنين (16 ــ 17)م؟

ولكي يبلغ البحث أقصى غاية ممكنة، يجب أن تكثر التساؤلات حوله، معتمدين في ذلك على مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تقودنا إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسية وهي على التوالي:

-كيف كانت ظروف بلاد الأندلس خلال القرنين السادس عشر والسابع عشرميلادي؟

- ماهي خلفيات التحرش الإسباني بمسلمي الأندلس ؟

- كيف ساهمت الدولة العثمانية في نجدة مسلمي الأندلس،وتقديم يد العون لهم ؟

- ماهي الظروف والأسباب التي دفعت بمسلمي الأندلس بالهجرة إلى بلاد المغرب الإسلامي وبالضبط إلى الجزائر بإعتبارها الحلقة الأبرز؟

- ما مدى تأثير مسلمي الأندلس على الجزائر في مختلف مجالات الحياة ؟

المنهج المتبع:

إعتمدنا في طرحنا هذا على المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج المقارن الذي إعتمدنا فيه على مقارنة العديد من المراجع والمصادر التي لها علاقة بتاريخ مسلمي الأندلس، والنكبة التي ألمت بهم والهدف في آخر المطاف هو إستخلاص المادة من مضامينها والوصول إلى الحقيقة وذلك بالإجابة عن التساؤلات المطروحة في ثنايا فصول البحث.

ولنعرج الحديث عن **الدراسات السابقة** لهذا الموضوع، فمن خلال بحثنا لم نعثر على دراسة كاملة بكل جزئياتها للدولة العثمانية ومسلمي الأندلس، بالفترة الحديثة والمعاصرة، لهذا يمكننا القول بأن هذا الموضوع قد تناوله الكثير من المؤرخين، غير أن ذلك لم يمنعنا من الولوج في هذه الدراسة، وبعد قرائتنا حول الموضوع، إرتأينا ضرورة دراسة جوانب منه، سوءا في الطرح أو في الشكل، وإعطاء قراءة جديدة لمصادر ومراجع معروفة، وأخرى غير معروفة، وإخراجها إخراجا

حسنا في شكله، وضبطها ضبطا جيدا في منهجيتها، أما بالنسبة للدراسات التي تحدثت عن هذا الموضوع نذكر مذكرة نبيل عبد الحي رضوان تحت عنوان جهود العثمانيين في إنقاذ الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث خلال القرنين (16 ــ17)م، وهي مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، وأيضا بعض المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذا الموضوع، نذكر عبد الجليل التميمي في كتابه الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين وغيرها.

ولإعطاء هذه التساؤلات نصيبها إرتأينا تقسيم هذا الموضوع إلى مقدمة ومبحث تمهيدي وثلاث مباحث، وكل مبحث يحتوي على أربعة مطالب، ثم حاولنا قدر الإمكان الإجابة على الإشكالية المطروحة، حيث إعتمدنا في دراستنا هاته على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع و المقالات المتخصصة التي يمكن تقسيمها إلى :

أ-المصادر العربية :

نذكر منها كتابات أحمد المقري التلمساني من خلال كتابيه الأول **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين إبن الخطيب**، الجزء الرابع، حيث يذكر لنا واقع مسلمي الأندلس بالجزائر، أما في كتابه الثاني **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** في جزئه الأول، الذي أعطى لنا هذا الأخير صورة عن صرخة مسلمي الأندلس وإستغاثتهم بالسلاطين العثمانيين، وأيضا كتاب **ناصر الدين على القوم الكافرين**، لشهاب الحجري حيث يعتبر هذا الأخير مصدر جد هام ،فصاحبه قدم لنا ما فعله الإسبان بمسلمي الأندلس، وظروف إنتقال هؤلاء إلى شمال إفريقيا، وغيرها من المصادر المهمة التي تحدثت في الموضوع .

ب-المراجع العربيةوالأجنبية:

لقد إعتمدنا على العديد من المراجع نذكر من بينها المراجع العربية، نذكر على سبيل المثال محمدعبده حتاملة(**التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين**)، وأيضا أسعد حومد في كتابه **محنة العرب في الأندلس** ،وحسين علي الشطشاط **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، إلى جانب كتاب ناصر الدين سعيدوني المعنون ب:**دراسات أندلسية** وغيرها .

أما فيما يخص المراجع الأجنبية فاعتمدنا على:

Levice Amiral,jurien de la graviere:**les corsairs barbaesques et lamarine de solaiman legrand**,paris1887

إلى جانب ذلك إعتمدنا على بول وولف جون في كتابه **الجزائر وأوروبا (1500ـــ 1830)م**، وسامح عزيز آلتر في كتابه **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**...الخ.

ج-الأطروحات :

نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث** حيث قدم لنا هذا الأخير كيف ساهمت الدولة العثمانية في تقديم يد العون لمسلمي الأندلس في مطلع القرنيين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، وأيضا مفيدة بن يوسف **الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيرها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني لقرنيين السادس عشر والسابع عشر ميلادي.**

د-المجلات والمقالات :

إعتمدنا في دراستنا هذه على **المجلة المغربية التاريخية**، العدد 3 لصاحبها عبد الجليل التميمي، و**مجلة الأصالة** العدد27ـــ ،28.

أما فيما يخص المقالات نذكر على سبيل المثال أحمد توفيق المدني، **إنهيار بلاد الإسلام وموفق دول الإسلام وإسطنبول من ذلك**، ليلى الصباغ **ثورة مسلمي غرناطة عام 976ه أواخر عام 1568م، والدولة العثمانية .**

وفي الأخير خاتمة ومجموعة من الإستنتاجات، ثم ذيلناها بمجموعة من الملاحق المتمثلة في الصور والخرائط المدعمة لهذه الدراسة .

خطة البحث:

قسمنا بحثنا هذا إلى عدة عناصر تأتي في بدايتها المقدمة، أربعة مباحث، حيث يتفرع كل مبحث إلى عدة مطالب، وفي خاتمة كل مبحث خلاصة .

-تعرضنا في المقدمة إلى التعريف بالموضوع ودواعي إختيارنا له، الإشكالية المطروحة، المنهج المتبع، ثم المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع .

المبحث التمهيدي: الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية

-طبيعة الدولة من حيث النمو والإمتداد.

- حالة المجتمع الإسلامي قبيل الحروب الصليبية.

-أسباب سقوط الأندلس.

-دور السلاطين العثمانيين في عهد بايزيد الثاني وسليمان القانوني.

المبحث الأول: ظروف بلاد الأندلس خلال القرنين(16 ــ 17) م.

- **المطلب الأول:** مصادر قوة إسبانيا وإستكمال وحدتها.

-**المطلب الثاني:** الصراع على الملك وضياع مملكة غرناطة .

-**المطلب الثالث:** سياسة ملوك إسبانيا في مواجهة مسلمي الأندلس وبداية تصفيتهم

المبحث الثاني: بداية التحرش الإسباني بمسلمي الأندلس وطلبهم النجدة.

-**المطلب الأول:** بداية إستنجاد غرناطة بالدولة العثمانية .

-**المطلب الثاني:** دور المؤسسة الإنكشارية في عصر سليمان القانوني .

-**المطلب الثالث:** خطة إستعادة الأندلس في عهد صالح رايس .

-**المطلب الرابع:** جهود البايلرباي القلج علي .

المبحث الثالث: الهجرات الأندلسية إلى الجزائر أنموذجا خلال القرنين(16-17)م.

-**المطلب الأول:** الهجرة ومراحلها .

-**المطلب الثاني:** ظروف الإنتقال.

-**المطلب الثالث:** موقف العلماء من الهجرة أو البقاء .

-**المطلب الرابع:** تأثير مسلمي الأندلس على الجزائر في مختلف المجالات.

-خاتمة

-قائمة الملاحق

-قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

حدود البحث:

لقد حددنا الإطار الزماني بفترة مابين القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي ـــــ العاشر والحادي عشر هجري، أما الإطار المكاني فكان منحصرا في كل من إسبانيا والجزائر بإعتبارهما

الحلقة الأبرز في تلك الفترة، فالقرن السادس عشر كان قرنا حافلا بعدة أحداث تاريخية، وذلك بعد سقوط غرناطة عام 1492م، والتي نتج عنها حملات إضطهادية في حق مسلمي الأندلس، هذا الذي أدى بهم إلى تكرار رسائل الإستنجاد إلى سلاطين الدولة العثمانية، أما فيما يخص القرن السابع عشر فكان قرنا مظلما بالنسبة لهؤلاء، وذلك بعد قرار الطرد النهائي لهم سنة 1609م.

أهم **الصعوبات** التي إعترضت سبيلنا هي مشكلة اللغة الإسبانية واللغة التركية اللتان يتعلق بهما البحث خاصة الفترة التي تعود إلى القرن العاشر هجري والحادي عشر هجري ،والقرن السادس عشر ميلادي والسابع عشر ميلادي،بالإضافة إلى ذلك هو تشابك وتداخل الموضوع و تشعبه أيضا مما قد يصعب علينا البحث خاصة بالنسبة لنا بإعتبارنا مبتدئين ،ويضاف إلى ذلك عامل ضيق الوقت المخصص للدراسة وفي ختام هذا العمل نشكر الله العلي القديرعلى فضله ومنته وكرمه على أن وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع .

مبحث تمهيدي

1 . طبيعة الدولة من حيث النمو والإمتداد.

2 . نشأة الدولة العثمانية .

3 . حالة المجتمع الإسلامي في الأندلس قبيل الحروب الصليبية.

4 . أسباب سقوط الأندلس.

مبحث تمهيدي:

1/طبيعة الدولة من حيث النمو والإمتداد:

لقد كان الجهاد المقدس من صفات بعض المحاربين التركمان الذين هم من أقارب السلاجقة[1]،حيث قام هؤلاء باحتلال المقاطعات الأسيوية الإمبراطورية البيزنطية إلى غاية نواحي بحرإيجة غربا، وذلك بعد معركة ملاذ كرت[2] التي كان فيها الانتصار لصالح المسلمين على حساب البيزنطيين عام 464 هـ/ 1071م هنا إكتسب القائد التركي ألب أرسلان [3] شهرته الواسعة عمت أرجاء العالم الإسلامي، وبذلك تمكنت هذه القبائل من توطيد أقدامها في أسيا الصغرى وإحتلت شرق ووسط الأناضول[4]،حيث بدأت الدولة العثمانية هنا في النشأة والتكوين [5].

2/نشأةالدولةالعثمانية:

يعد المركز الأول لنشأة هذه الدولة هو الركن الشمالي الغربي من الأناضول في أسيا الصغرى، سنة 1231م وهي منطقة الثغور المواجهة للدولة البيزنطية حيث جاء فرع من قبيلة قاية التي تنحدر هاته الأخيرة من الأرغوز الذين نزحوا من كردستان إلى أواسط أسيا مع أفراد قبيلتهم [6].

---

(1) **السلاجقة:** هم مجموعة من القبائل التركية التي عرفت بإسم الغز، إستقرت بالهضاب الغربية من بحيرة خوارزم (بحر أرال) ثم نزلت بالقرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين و في الهضاب المحيطة بنهر جيحون، و أطلق على هذه القبائل التركية إسم السلاجقة نسبة إلى رجل تزعمها يدعى سلجوق بن دقاق، ويبدو أنه هو الذي جمع شملها و وحدها تحت زعامته و قادها و نزل بها إلى أراضي الدولة الإسلامية... أنظر : إبن الأثير ، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ج2، ط2، المكتبة العلمية بيروت، ص336.

(2) **معركة ملاذكرت:** 463هـ/1071م : وقعت تلك المعركة والتي تعد فاصلة في التاريخ ، قرب بلدة ملاذكر إلى الشمال من بحيرة وأن يوم الجمعة 17 ذي القعدة 463هـ ، حيث في هذه المعركة حقق السلاجقة نصرا حاسما على البيزنطيين ومما يدل على نصرهم هو وقوع الإمبراطور رومانوس في الأسر... أنظر: محمد صالح طيب صادق الزيباري، **سلاجقة الروم في أسيا الصغرى** (470-634هـ/1077-1237م)، ط.1دار دجلة عمان . الأردن،2007 م، ص 64.

(3) **ألب أرسلان:** هو محمد بن داود بن جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق ولد سنة 424 هـ وألب إسم تركي معناه شجاع، وأرسلان بمعنى أسد أي الأسد الشجاع، تولى الحكم بعد وفاة عمه طغرل بك حيث يصفه الذهبي قائلا : السلطان ألب أرسلان عظم أمره وخطب له على المنابر... أنظر: عبد الحي بن أحمد العكي الدمشقي إبن عماد **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ج3، دت، دط ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص، 318،319.

(4) **الأناضول:**هي كلمة محرفة أصلها روماني أي أناضولي وتعني البلاد الشرقية وذلك لوقوعها شرق بلادهم...

(5) نبيل عبد الحي رضوان ، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، وإسترداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، السعودية 1407هـ/1987م ص 8.

(6) محمد بن أبي السرور الصديقي البكري ، **فيض المنان في دولة آل عثمان**، تحقيق و دراسة و تعليق عبد الرزاق عيسى، ط1، مكتبة زهراء، الشرق، القاهرة – مصر 2010م ص 20 .

و تكمن قوة هذه الدولة عندما إنضم أرطغل [1] لجانب سلطان السلاجقة علاء الدين السلجوقي، في حربه ضد التتار هذا الذي جعله أميرا على مقاطعة أسكى شهرeskishehir [2] عام 1213م، حيث لقبه بلقب "الغازي"، وذلك بسبب عداوته المستمرة ضد البزنطيين، حيث بعد وفاة أرطغل عام 1281 م خلفه ابنه عثمان [3] (1281-1324م)، حيث قام هذا الأخير ببذل أقصى جهوده في توسيع هذه المملكة في القسم الشمالي من آسيا الصغرى، حيث بعدما قام بعمليات التوسع و الاستيلاء على إمارات أخرى كما قام بضرب السكة باسمه وخطب له في المساجد وذلك بوصفه مجاهدا في سبيل الله [4]، حيث هنا بدأت قصة التمكن لهذه الدولة وهنا نلتمس بداية صعود هذه الأخيرة نحو العزة و النصر بعدما عانت الضعف و الإنحطاط، وهذا يدل على حكمة الله حيث يقول عز وجل "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"الآية 40 من سورة النحل [5]

---

[1] **أرطغل**:هو محمد إبن ميكائيل السلطان الكبير ركن الدين أبو طالب من أوائل ملوك الدولة السلجوقية، كما كانت له علاقة وثيقة مع الخليفة العباسي، القائم بأمر الله، يذكر المؤرخون و أصحاب السير أن هذا الأخير إتصف بالشجاعة و الإقدام والمحافظة على الصلوات وله دور بارز في تثبيت الدولة السلجوقية ...أنظر: محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، **سير أعلام البلاد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي، ج18، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت،1413 هـ، ص106.

[2] **أسكي شهر**eskishehir : إسم مدينة مركب من كلمتين الأولى أسكي بمعنى قديم و الثانية شهر بإسم مدينة فيكون معناها المدينة القديمة ...أنظر: محمد بن أبي السرور الصديقي البكري، مصدرسابق، ص23.

[3] **عثمان بن أرطغل**: هو المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية ومن إسمه تم إشتقاق إسم الدولة العثمانية ، ولد سنة 656هـ ـــــ 1253م من بلاد الأناضول، حيث خلف والده في رئاسة العشيرة ، وقام هذا الأخير بعدة فتوحات من بينها فتح المدن البزنطية ، وإتخذ من مدينة بورصة عاصمة له توفي عام 726هـ/1326م...أنظر: أحمد أق كوندز- سعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال و جواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**، دط، وقف البحوث العثمانية 2008م، ص57 60 .

[4] محمد بن أبي السرور الصديقي البكري ، مصدر سابق، ص20.

[5] علي محمد محمد الصلابي، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، دار القاهرة، للنشر والتوزيع، 2001م، ص 53،54.

وبما أن الدولة العثمانية قامت على أساس صحيح أو بالأحرى أسس إسلامية، هذا الشيء الذي جعلها دولة قوية ذات شأن عظيم حيث ذاع صيتها في شتى أنحاء العالم، فالشورى كانت أمرا مهما في طريقة حكمهم، وكونهم مسلمين فإنهم إعتمدوها في بناء دولتهم وجعلوها خير سبيل لتحقيق استمرارية هاته الدولة ونظامها حيث يقول الله تعالى:" **والذين إستجابوا له بهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** " سورة الشورى الآية 38 .[1]

حيث تداول على السلطة في الفترة ما بين 1300 م – 1516م تسعة سلاطين وجهوا جهودهم لتوسيع الرقعة الإسلامية في أوروبا الشرقية، وأنشأوا جيشا من أحسن جيوش العالم، ألا وهو الجيش الإنكشاري YENIGERI [2]، حيث حكم الدولة العثمانية سلاطين ما بين مرحلة التأسيس ومرحلة الضعف والفوضى نجد أورخان [3].

الذي حكم ما بين 726 ه/761 ه، حيث قدم هذا الأخير عدة إنجازات جليلة لهذه الدولة، حيث قام بسن عدة قوانين وأنظمة وذلك بمساعدة رجال حكومته، كما صبّ جلّ إهتماماته نحو الفتوحات .[4]

---

[1] زياد أبو غنيمة، **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك**، الطبعة 1، عمان ، 1403 هـ/1983 مـ ، ص 21 .

[2] **الإنكشارية** : هي كلمة محرفة من أصلها التركي " يني تشاري " YENIGERI ، ومعناها الجيش الجديد ، وهو مؤلف من شتى الشعوب وخاصة من الأسرى وأطفال النصارى وكان الغرض من تشكيل هذا اللفيف هو تفادي الانحياز والتعصب القبلي في الجيش التركي ، الذي قد يؤدي إلى سقوط الإمبراطورية العثمانية .... أنظر: محمد عبد الرحمان الجيلالي ، **تاريخ الجزائر العام** ، ج 2 ، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1375 هـ ـ 1955 م ، ص 284 .

[3] **أروخـــــان** : ولد سنة 670 هـ / 1271 م في مدينة سوكوت وقام أروخان بعدة أعمال من بينها فتح مدينة بورصة ، وصك أول عملة نقد للدولة العثمانية ، حيث كان هذا الأخير عبقرية عسكرية ، وطارت شهرته في الأفاق ، حيث كان يقوم على مبدأ التشاور في نظام الحكم ، كما قام بتشكيل جيش دائم من ألف شاب تركي ، أطلق عليه اسم " يايا " أي المشاة ، وجيش من ألف فارس أطلق عليه إسم " مسلم "... أنظر: أحمد أق كوندزـ سعيد أوزتورك ، مرجع سابق ، ص 63-64 .

[4] نبيل عبد الحي رضوان ، مرجع سابق ، ص 15-16 .

بالإضافة إلى ذلك قام بتحويل كنيسة آياصوفيا [1]، في هذه المدينة إلى جامع ليخلفه بعده مراد الأول ثم يازيد الأول ثم مراد الثاني، حتى عهد محمد الثاني الملقب بمحمد الفاتح [2]، حيث قام هذا الأخير بعدة إنجازات، من بينها فتح عاصمة البيزنط وأسقط هيبتهم، حيث حكم ما يقارب 30 سنة، كان خيرا وعزة للمسلمين، والذي إتبع منهج والده وأجداده في الفتوحات حيث قام بفتح القسطنطنية سنة 1453م عندما أرسل هذا الأخير إلى قسطنطين يطلب منه تسليم البلد له مقابل التعهد بعدم مس حرية الأهالي وممتلكاتهم، لكن هذا الأخير رفض، وفضل الموت على تسليم المدينة، بعد ذلك جهز السلطان العثماني جيشا وإستعد للهجوم في 20 جمادي الأولى سنة 857 ه/29 مايو 1453 م [3]، حيث كان لهذا الفتح أثر عميق في العالم الأوروبي، هذا الشيء الذي أثار حفيظة العديد من الدول، وخاصة إسبانيا لكونها دولة قوية في ذلك القرن، ليخلفه بايزيد الثاني[4] في حكم الدولة العثمانية سنة 918 ه .

---

[1] **كنيسة آياصوفيا** : بناها الإمبراطور قسطنطين سنة 335 هـ وقد حولها محمد الفاتح إلى مسجد وأدخلت على المسجد العديد من التوسعات والتحسينات، وبلغ طوله 270 قدما ، وعرضع 240 قدما .... أنظر: محمد بن أبي السرور الصديقي البكري ، **مصدر سابق** ، ص 118 .

[2] محمد الفاتح : فاتح القسطنطنية سنة 1452 م تولى العرش بعد وفاة والده مراد الثاني في عام 1451 م ، وهو إبن الحادي والعشرين من العمر ، وكان مولده عام 1429 م ، وهو أقوى الشخصيات العثمانية الحاكمة ، تدرب على شؤون الحكم في عهد أبيه ، وأختير له رجال من الجيش لتدريبه على الأعمال العسكرية .... أنظر: محمود السيد ، **تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها** ،دط، مؤسسة الشباب الجامعية ، الإسكندرية ، 2004 م .

[3] محمد فريد بك المحامي ، **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ، تحقيق : إحسان حقي ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1401 هـ /1981 م ، ص 39-40 .

[4] بايزيد الثاني : ولد عام 754 هـ / 1450 م في قصر ديما توفه من كول بهارخاتون ، حيث كان حاكم سنجق أماسيا إلى إسطنبول، حيث إرتقى العرش هناك، ويعتبر من أحد السلاطين النوادر الذين لقبوا ب " الولي " ،حيث حصلت في فترة حكمه حادثة ألا وهي تمرد شقيقه الأصغر " جم "، وذلك بإعلان العصيان على أخيه السلطان بايزيد مطالبا بالسلطة ، وبعد وفاة " جم " بدأت سنوات السلطنة الفعلية لبايزيد الثاني، وكان أول عمل قام به هو التوجه نحو بولندة، كما أعلن الحرب على البنادقة والمجر وإسبانيا .... أنظر: أحمد اف كوندز – سعيد أوزتورك، مرجع سابق، ص 192 –193 .

لتأتي بعدها مرحلة الحكم القوي منذ وصول الحكم إلى يد سليم الأول [1]، الذي قام بدعم الجيوش النظامية، حيث حقق هذا الأخير عدة إنجازات وإنتصارات في تاريخ الدولة العثمانية ، هذا الشيء الذي جعل الدولة العثمانية إمبراطورية زمانها وأصبحت قوة منافسة للدول الأوروبية هذا الشيء الذي جعلها تتلقى العديد من رسائل الإستنجاد من طرف الدول التي عاشت الإضطهاد، حيث إقتصرنا في دراستنا هذه على إستنجاد أهل الأندلس بالدولة العثمانية، والمحنة التي ألمت بمسلميها، والدور الفعّال الذي لعبته هذه الأخيرة في إنقاذ هؤلاء من بطش المسيحيين .

3/ حالة المجتمع الإسلامي في الأندلس قبيل الحروب الصليبية :

بالعودة الى الحقبة الزمانية الماضية أي خلال القرن الخامس هجري، حيث يعتبر هذا القرن قرنا حاسما لما بين عهدها الزاهر السابق، وما بين عهد تراجعها وإضمحلالها فمنذ سنة 399 م بدأت موجة الإضطرابات بالأندلس[2]حيث إشتدت الفتنة، وعمّ الفساد وكانت سنة 407م منطلق التمزق، فكان عصر ملوك الطوائف الذين ثاروا فيما بينهم، وإستنجادهم بملوك النصارى حيث إنتهزوا هذه الفرصة التي كانوا ينتظرونها منذ فتح الأندلس، حيث بدأت النتائج الإيجابية تظهر لفائدة ملوك النصارى [3]، وتجلى مبدأ التفوق النصراني على مسلمي الأندلس عندما إنتزع لأذفونش السادس عام 487 ه/ 1085م مدينة طليطلة [4].

وبالرغم من أن انتصار " يوسف بن تاشفين " على الأذفونش في معركة الزلاقة عام 497 هـ / الموافق لعام 1085م، لكن لم تكن إلا إيقاف مؤقتا للزحف النصراني وبالرغم من إنهزامهم إلا أن المسلمين لم يستطيعوا إسترجاع مدينة طليطلة.

---

[1] **سليم الأول** : تربع العرش العثماني سنة 918 هـ 1512 م ،وقد أظهر منذ بداية حكمه الحنكة وميلا الى تصفية خصومه ولو كانوا إخوته ، وهو ما كان فعلا ، وفي عهده واجه الشيعة الصفوية مع مؤسسها صفي الدين الأدبيلي عام 735 هـ / 1332 م، وفي عهده رأى أنه يجب توحيد المسلمين خاصة بعد سقوط الأندلس بيد النصارى ..... أنظر: محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، ط4، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، ص 2 .

[2] **الأندلس** : المراد بلفظ الأندلس ، إسبانيا الإسلامية بصفة عامة ، أطلق هذا اللفظ في بادئ الأمر على شبه جزيرة إبيريا كلها بإعتبارها أنها كانت جميعا في يد المسلمين، ثم أخذ لفظ أندلس بكل مدلوله الجغرافي شيئا فشيئا تبعا للوضع السياسي التي كانت عليه الدولة الإسلامية في شبه الجزيرة ، حتى صار لفظ الأندلس يقتصر على مملكة غرناطة .... أنظر:عصام الدين عبد الرؤوف الفقي **تاريخ المغرب والأندلس** ،دط، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، 1984 م ، ص 34 .

[3] محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، طبعة جديدة 1 ،دار الغرب الإسلامي ، 1982 ، ص 18.

[4] **طليطلة** : تقع على مسافة نحو 60 كلم من مدريد وتعتبر طليطلة جميعها متحفا لوفرة ما بها من أثار لمختلف العصور لها أهمية تاريخية كبيرة .... أنظر: علي إسلام باشا ، **إسبانيا والأندلس** ، دط ، الاسكندرية ، 2001 م ، ص 38.

هذه هي حالة المجتمع الإسلامي قبل بداية الحروب الصليبية[1]، أما في حديثنا عن مملكة البرتغال فكانت هاته الأخرى نصيبها الأراضي الإسلامية التي بقيت بغرب الأندلس، وبذلك ضاع غالب الأندلس من المسلمين، و لم تبقى سوى مملكة غرناطة وما حولها تحت سيادة محمد بن الأحمر.

4/ أسباب سقوط الأندلس :

إن المأساة التي تشغل بال وفكر العالم بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة ليست مأساة سقوط بلاد الأندلس، وإنما العوامل والأسباب التي أدت إلى سقوط هذه الأخيرة، وإنهيار مدينة عظيمة كان نورها ساطع في أرجاء العالم، فتحول إلى ظلام دامس وفراغ رهيب .

العامل الأول:ألا وهي مملكة بني الأحمر بغرناطة كانت قوية إلا أن تخاذل هاته الأخيرة أدت إلى سقوط هذه الدول.[2]

العامل الثاني : هو العامل المغربي، ويتجلى هذا في سلوك أهل الشمال الإفريقي نحو العرب والملمين فالذي سجله التاريخ هو أن المغرب العربي والمغرب الأقصى بالذات، كانت له يد في إدخال الإسلام وجيوش المسلمين إلى الأندلس، وشاء الله أن تمتد يد الخراب إلى بلاد الأندلس وذلك بعد إتحاد المماليك الإسبانية قشتالة وأرغونه .

العامل الثالث : هو أن في ذلك الوقت لم يكن للعرب حكم ولا دولة إلا حكم تلك الدولة الواهية بالمغرب العربي ، هذا الذي أدى إلى انهيار العالم الإسلامي .

العامل الرابع : ويتجلى في بعد الدولة العثمانية عن مواطن الكفاح في بلاد الأندلس، حيث كانت هاته الأخيرة منشغلة بالفتوحات، وأيضا بالصراعات التي كانت قائمة بينها وبين دول المماليك والدولة الصفوية، هذا الشيء الذي جعلها تتخاذل في نجدة هؤلاء .[3]

نتيجة لذلك لجأ المسلمون إلى القيام بثورات وإنتفاضات وذلك في أغلب المدن الإسبانية التي يوجد بها أقلية مسلمة خاصة غرناطة إلا أن تلك الثورات أخمدت بدون رحمة ولا شفقة ومن بين تلك الثورات نجد الثورة في البشرة، والثورة في الجبل الأحمر لكن هذه الثورات فشلت هذا ما زاد في تعميق الكره والحقد للمسلمين، حيث مارسوا خطتهم في تصفية الوجود الإسلامي في الأندلس .

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مرجع سابق ، ص 241 ، 242 .

[2] أحمد توفيق المدني، "إنهيار بلاد الأندلس وموقف دول الإسلام وإسطنبول من ذلك "، **مجلة الأصالة**، العدد28،27،المجلد 12،السنة الرابعة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011 م، ص، 177،178.

[3] نفسه ، ص 182-185.

راح مسلمو الأندلس يستنجدون بالدولة العثمانية وخاصة بالمؤسسة الإنكشارية، حيث كانت هناك رسائل إستنجاد خاصة في عهد السلطان العثماني" بايزيد الثاني "،فكان من الطبيعي الإستنجاد بالدولة العثمانية لكونها دولة قوية وحامية للمسلمين .

لكن هنا يخطر ببالنا عدة تساؤلات: لماذا لم تقم الدولة العثمانية بمساعدة مسلمي الأندلس، عندما داهمهم الخطر الإسباني الماحق ؟

لم يكن في وسع الدولة العثمانية وهي في أوج قوتها الحيلولة دون وقوع تلك المأساة المروعة لمسلمي الأندلس ؟

والسبب الحقيقي لذلك هو إنشغال هذه الأخيرة بأكثر من أعبائها . [1]

حيث كانت الدولة العثمانية تعاني من ظروف صعبة آنذاك كانت في حرب مع دولة المماليك في مصر بسبب نزاعات بدأت من عهد السلطان محمد الفاتح، والد السلطان بايزيد الثاني .

والسبب الثاني هو المشكلة الداخلية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية وهي مشكلة الأمير جم الذي شق عصا الطاعة على أخيه السلطان مطالبا بالعرش لنفسه، ونجد أيضا خطورة الدولة الصفوية التي كانت تحاول نشر المذهب الشيعي في الأناضول، كل هذه الأسباب أدت إلى بقاء مسلمي الأندلس وحدهم في الميدان، وتجرعوا الآلام وأصبحت دولتهم جزاء تفرقهم إلى طوائف عديدة .

إلا أن مسلمي الأندلس لم يفقدوا الأمل في نجدتهم، حيث كانوا يتتبعون بإهتمام مدى النجاح الذي حققه العثمانيون، وكيف دانت لهم كل من مصر وسوريا، وبالأخص الجزائر التي أصبحت مأوى يلتجئ إليه المهاجرون الأندلسيون(2)، بعد مجيئ الإخوة بربروسة إنبعث شعاع الأمل في نفوس مسلمي الأندلس، حيث قاموا بتشجيع حركة إنقاذ مسلمي الأندلس، حيث كان هؤلاء يتصلون سرا برجال البحر المسلمين، ويمدونهم سرا بالمعلومات اللازمة للقيام بهجماتهم بنجاح .

هنا نلاحظ تخوف قادة إسبانيا من إتحاد كلمة مسلمي الأندلس مع العثمانيين هذا ما زاد في نفوس مسلمي الأندلس التطلع إلى طلب النجدة من السلطان العثماني سليمان القانوني.

وهذا ما كان بالفعل فقد عملت الدولة العثمانية على بذل جهودها في إنقاذ مسلمي الأندلس من بطش الإسبان .

---

(1) بسام العسلي ، **خير الدين بربروس والجهاد في البحر** ، ط 1 ، دار النفائس ، 1400 هـــ/ 1980 م ، ص 45.

(2) عبد الجليل التميمي ،**الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، دط، زغوان 1989م، ص 29.

لذلك نجد أن بعض الذين فقدوا ثقتهم في مساعدة الدولة العثمانية لهم، قد رأوا في الهجرة الملاذ والفرار من حياة البؤس والشقاء التي كانوا يعانون منها، فكانت وجهتهم إلى مختلف البلدان، وفي سياق هذا الكلام نذكر بعض الشخصيات التي هاجرت إلى بلاد المشرق كل من أبوعبد الله محمد بن أبي عيسى[1]، وعتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي [2]، وأيضا أبوالقاسم الشاطبي[3].

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى القاضي عبدو الثعالبي، ومحمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي أبو عبد الله، وهو على أية من بني يحي بن يحيى الليثي، ولي القضاء أيام الأميرعبد الرحمان ابن أحمد وأدرك عهد الناصر، وأصبح قاضي الجماعة بقرطبة عام 326م، وكان به في السفرات توفي سنة 339م...أنظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني:**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس ، المجلد 2، دار البصائر ،بيروت،1408هـ ـ 1988م،ص 12.

[2] هو الدمشقي يكنى أبى بكر،نزيل دمشق، كان مشهورا بالصلاح، وإنتفع به جماعة من الفقراء ،وولد على ما قيل سنة 516م، وتوفي سنة 616م، ودفن بالمقابر الصوفية، فيكون عمره على هذا مائة سنة ،حيث نفعنا ببركاته وبركات أمثاله ...أنظر: المصدر نفسه ،ص15.

[3] هو أبو القاسم إبن فيرا أبن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي المقري الفقيه، أحد العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين ،خطب ببلده شاطبة مع صغر سنه ودخل الديار المصرية سنة اثنين وسبعين وخمسمائة،وحضرعند الحافظ السلفي، حيث ولد بشاطبة سنة 538م، وتوفي بالقاهرة يوم الأحد 28من جماد الأخيرة سنة590م، حيث إنتقل إلى بلنسية وقرأها التيسيير منحفظه على ابن هذيل ،كما إرتحل إلى المشرق وإستوطن بالقاهرة حيث إماما علامة ذكيا حافظا للحديث بصيرا بالعربية ،حيث كانت له قصائد من بينها "حرز الأمان "و"عقيلة أتراب الفضائل"...أنظر: المصدر نفسه،ص 23،24.

المبحث الأول:

ظروف بلاد الأندلس خلال القرنين 16ـ 17 م

- **المطلب الأول:** مصادر قوة إسبانيا وإستكمال وحدتها.

-**المطلب الثاني:** الصراع على الملك وضياع مملكة غرناطة .

-**المطلب الثالث:** سياسة ملوك إسبانيا في مواجهة مسلمي الأندلس وبداية تصفيتهم.

المبحث الأول :ظروف بلاد الأندلس خلال القرنين (16 ــ 17)م.

المطلب الأول :مصادر قوة إسبانيا وإتحادها :

لقد عرف البحر الأبيض المتوسط، بضفتيه الشمالية والجنوبية تطورات في غاية الأهمية خلال القرن الأخير بتحقيق نصر كبير ألا وهو فتح القسطنطينية عام 1453م على يد محمد الفاتح وعلى ذكر هذا فإن الدولة العثمانية في تلك الفترة كانت بمثابة قوة إسلامية يتخوف منها النصارى ، إلا أنها إصطدمت بمنافسة لها وهي دولة إسبانيا، فكانت هذه الأخيرة منشغلة بالقضاء على مسلمي الأندلس وتوحيد مماليكها (1).

حيث كانت إسبانيا في القرن 15م أهم قوة في أوروبا، وكانت قشتالة من أهم أقاليمها، فقد لعبت سلسلة من الإرث والزواج على توحيد وتجميع الأقاليم، وإستقطاب الدول لدى ملوك إسبانيا، حيث أنهم أدركوا كيف يديرون سياستهم في تلك الفترة، وهذا ما أدى إلى إستكمال وحدتها وأصبحت دولة موحدة، لها أثر كبير على الوجود الإسلامي داخل إسبانيا وخارجها في الشمال الإفريقي، والدليل على ذلك هو العدوان الذي قاموا به ضد مسلمي غرناطة عام 1492م(2).

إضافة إلى ذلك هو أنها دخلت في صراع كبير مع الإمبراطورية العثمانية بسبب توسعات الأخيرة في الحوض الغربي للمتوسط، ومحاولتها بسط نفوذها على الحركة التجارية فيه بعدما سيطرت عليها في جزئه الشرقي، لكنها إصطدمت بإسبانيا والبرتغال اللتان كانتا تتحكمان في شطره الغربي وخطوطه التجارية .

إلى جانب ذلك كانت كل من البرتغال وإسبانيا تتلقى الدعم الكامل من أوروبا، فهذا ما جعلهما يطمحانلمجابهة و مقاتلة المسلمين في الأندلس وإخراجهم من تحت الراية الصليبية، وكان الأمر كذلك في حين كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها ، وهذا ما إستلزمها أن تقاتل من جهة الشرق لتخفف الضغط على المسلمين في الأندلس، ولتتمكن أيضا من ردع الحركة الصليبية لتقلل من هجماتها على المسلمين (3).

من الملاحظ أن كل من المسلمين والنصارى في تلك الفترة كانتا تمثل قوة تطمح وتسعى من خلالها إلى فرض السيطرة والإستحواذ على قدر ممكن من العالم.

---

(1) علي الصلابي ، مرجع سابق، ص 147.

(2) نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق،ص 30،27.

(3) نفسه، ص 41.

حيث تعتبر الكشوفات الجغرافية التي بدأتها البرتغال بكثير من الحماس، وإسبانيا خلال القرنين 15ـــ16م نقطة تحول لإنتزاع السيطرة من الإمبراطورية العثمانية على الحركة التجارية العالمية وتحويلها لصالحها، إلا أن العثمانيين فرضوا سيطرتهم لسنوات طويلة على القارات الثلاث (آسيا أوروبا وإفريقيا) .

لقد تمكن الإيبيريون من إكتشاف الرجاء الصالح سنة 1487م، وهذا ما أثر سلبا على الدولة العثمانية فيما يتعلق بالتجارة، أما فيما يخص إسبانيا إلى جانب البرتغال فإنهما تمكنتا من فرض سيطرتهما من جديد على الخطوط التجارية المؤدية إلى الهند[1]، إلاأن البرتغال شهدت في منتصف القرن السادس عشر ضعفا ملموسا، ويعود ذلك إلى إنتشار النفوذ الإسباني في البرتغال، وبالتالي أصبحت إسبانيا دولة قوية خاصة بعدما سقطت غرناطة آخرمعقل إسلامي بالأندلس عام 1492م [2]، وإستكملت وحدتها بزواج الملكين الكاثولكيين[3]،حيث من خلاله تمكنت من دخول مرحلة جديدة في تاريخها معطيات رسمت من خلالها الخطوط العريضة لسياستها القادمة إتجاه المسلمين على أراضيهاحيث قام الملكان الكاثوليكيان بتقسيم الصلاحيات بينهما،ورأت الملكة إيزابيلا صرف أنظار الناس عن الفوضى والفساد بإشغالهم لمحاربة المسلمين في مملكة غرناطة [4] .

وفي فترة حكم كل من الملكين الكاثولكيين (فرديناند وزوجه إيزابيلا) كان على حكم غرناطة مولاي أبو الحسن، الذي كان قوي الشكيمة وعقد العزم على محاربتهما مهما كانت التضحيات، و لم يأبه بما بلغاه من قوة، ورفض دفع الإيتاوة لفرديناند، وهي التي إعتاد أسلافه أدائها، وهكذا إستمرت الصراعات بين الطرفين 5 في تلك الفترة بقيادة كل من ملك أراغون فرديناند(6).

---

[1] مفيدة بن يوسف، **الجاليةالأندلسية بالجزائر، وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني لقرنين السادس عشر والسابع عشر (16 ــ 17)**، إشراف أرزقي شويتام ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر الجزائر 2010 ــ 2011م، ص 141.

[2] عبد الفتاح أبو علية، إسماعيل ياغي:**تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**،ط 3، دار المريخ ،المملكة العربية السعودية 1413هـ ــ 1993م، ص64.

[3] أنظر ملحق رقم 01.

[4] **غرناطة** من أشهر بلاد الأندلس،وقيل الصواب أغرناطة، ومعناها بلغتهم الرمانة، وأطلق جند دمشق على غرناطة شام الأندلس لتشابهما مع دمشق، ولما إجتمعت كلمة الإسبان على أخذ غرناطة كل شعارهم هو"تؤكل الرمانة حبة حبة أي Grano a grano sea de comer la granada أنظر: مفيدة بن يوسف ،مرجع سابق، ص 21.

[5] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مرجع سابق،ص 301.

[6] **فرديناند Ferdinand** :هو فرديناند الخامس الكاثوليكي من مواليد 1452 ــ 1516م، تولى الملك سنة 1474م، إشتهر بأنه سياسي عنيدوجريئ، تزوج بإيزابيلا ملكة قشتالة ،ووحد تقريبا كل شبه الجزيرة الإيبيرية، مما ساعده على تدمير قدرة المغرب الإسلامي والقضاء على غرناطة سنة 1492م ،وكان صاحب مقدرة فائقة في الإدارة ،أنظر: علي المنتصر الكتاني، **إنبعاث الإسلام في الأندلس**، ط 1، بيروت لبنان 1426هـ ــ 2005م، ص 49.

وإيزابيلا(1) ملكة قشتالة، الذين وحدا قيادة الإقليمين ضد مملكة غرناطة ودعمهما في مخططاتهما وزيرهما خمينيس، فقد ضمن إتحادهما الشخصي رص صفوف المملكتين للمرة الأولى.(2)

ومما ساعدهم في ذلك هو تلقيهم الدعم الكامل من قبل الكنيسة التي سخرت لهم كل الإمكانيات البشرية والمالية، تحت تصرفهم(ملوك إسبانيا)، من أحل إبعاد المسلمين على بلاد الأندلس، وإخضاع بلاد الشمال الإفريقي لها، وهذا مامكن إسباني أيضا من القيام بعمليات تجارية كبيرة والتوسع في إحتلال البلدان، وإنتهوا بالضرورة إلى إحتلال السواحل الإفريقية الشمالية، حيث كان لهذا الإحتلال إمتداد للحرب مع المسلمين، تلك الحرب التي يطلق عليها الإسبان حرب الإستردادReconquista، والتي إستمرت وظلت قائمة في شمال إفريقيا حتى بعد وفاة الملكين الكاثوليكيين .

فحروب الإسترداد هذه لم تقتصر على المشرق فقط بل شملت غرب المتوسط، حيث ثارت بين المسلمين في الأندلس والنصارى في الشمال حروب طويلة، وإتصفت بشدتها وقوتها، وذلك لأنها حروب تغلب عليها الروح الدينية أكثر من شيء آخر.

إلا أن هذه الحروب لم تستمر طويلا في الشمال الإفريقي، وذلك بسبب ظهور الدولة العثمانية التي كانت تعد بمثابة قوة جديدة يمكنها التصدي للنصارى، وذلك من خلال محاولاتها الجادة والملحة على إسترداد الأندلس(3).

---

(1) **إيزابيلاIsabella** :هي إيزابيلا الأولى الكاثوليكية ،ملكة قشتالة من مواليد مدريد 1451ـــ 1504م، تزوجت مع فرديناند ملك أراغون ووحدت مملكتها بمملكة أراغون مماساعد على إكتمال وحدة إسبانيا .

وكانت جد عازمة على القضاء على المسلمين في الأندلس ،وذلك خاصة بعدما وقعت تحت تأثير توردماس دي تركويمادا، الذي كان قسيسا لها وطلب منها القضاء عليهم إن وليت الحكم وكان الأمر كذلك،أنظر: بسام العسلي، **خير الدين بربروس والجهاد في البحر** ،ط 1 ،دار النفائس 1400هـــ 1980م، ص45، قطب محمد علي ،**مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس** ،ص121،120.

(2) عادل سعيد بشتاوي، **الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة** ،د ط ، القاهرة 2001م، ص 98.

(3) نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص47،48.

المطلب الثاني :الصراع على الملك وضياع مملكة غرناطة.

1/ سيطرة إسبانيا على الحوض الغربي للبحر اللأبيض المتوسط:

تميزت إسبانيا بقوتها طوال القرن السادس عشر، حيث زادت قوتها بإستخدام محاكم التفتيش [1]وإستخدام سياسة القمع العسكري بحملات منظمة وقوية، وكانت وقت الإصلاح الديني البروتيستانتي هي أكبر نصير للكاثوليكية في أوروبا.(2)

وكانت إسبانيا أومملكة قشتالة وأرغونة، قد إستفادت منذ إستيلائها على غرناطة، آخرمعاقل المسلمين في الأندلس سنه 1492م من نمو قوتها، لكي تطرد المغاربة والمسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية(3)، وذلك كتمهيد لنمو دولة حديثة، تؤمن على نفسها وتزيد من مصالحها في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وزادت قوتها بعد أن تمكنت بعثاتها من الوصول إلى العالم الجديد، وإستفادت من إنقسام المغرب وضعفه لكي تحقق سيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

ففي الوقت الذي عرفت فيه أوربا تطورا فإن المغرب العربي كان في ضعف وإنقسام، خاصة وأن النظام كان فرديا وإستبداديا‌وإحتكاريا، رغم كونه إسلامي، فنشأت المنازعات، وإنقسم مغرب الموحدين إلى ثلاث إمارات رئيسية، حاولت كل منها أن تسيطر على إقليم، وعلى المناطق المجاورة لها، فظهرت سلطنة بني مرين في المغرب الأقصى، وإمارة بني حفص في تونس وإمارة بني عبد الواد في تلمسان في المغرب الأوسط .(4)

وإنتشرت الخلافات والأطماع بين كل أقليم وجاره على مناطق النفوذ والمكاسب، مما أدى إلى ضعف كل منها، في الوقت الذي تطورت فيه الأوضاع في أوروبا، وزادت فيه إمكانياتها على العمل، وعلى النمو والقوة، ولكون موقع إسبانيا القريب من بلاد المغرب العربي سببا في توجيه

---

(1) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مرجع سابق ، ص 241 ، 242 .

(2) جلال يحيى، **أوروبا في العصور الحديثة** ، د ط ، الفجر الإسكندرية 1981،ص478.

(3) **شبه الجزيرة الإيبيرية** : تقع جنوبي غرب أوروبا، وهي تكون كتلة جسيمة داخلة في البحر ،تكاد تكون خماسية الشكل وتصلها بالقارة سلسلة جبال البرانس، أما الجوانب الباقية فتحف بها مياه المحيط الأطلسي والبحر المتوسط ،أنظر: ج س كولان ،**الأندلس** ،ترجمة إبراهيم خورشيد ،عبد الحميد يونس ،حسين عثمان،ط 1 ،دار الكتاب اللبناني بيروت 1980 ،ص 61 .

(4) جلال يحيى ، مرجع سابق، ص 390

نظرها إليه، في وقت نموها ونزولها إلى ميدان الكشوف الجغرافية، نهاية القرن الخامس عشر، ومطلع القرن السادس عشر [1]

يمكننا القول بأن الظروف كانت جد مهيأة للإسبان لتنفيذ مبتغاهم، خاصة وأن ظروف المسلمين عامة كانت تعاني من إضطرابات داخلية وأخرى خارجية، فهذا ما منعها من التصدي للعدو.

2/أسباب سقوط غرناطة :

يعود تاريخ سقوط غرناطة لعدة أسباب نذكر منها ما يلي :

أ)**ضغوطات خارجية** :وهي متمثلة في قتل أعد ا د هائلة من المسلمين أثناء المعارك المستمرة بين الطرفين مما أدى إلى قلة القوى البشرية ، إلى جانب قلة المساعدات العربية "من بني مرين " وغيرهم نظرا للصراعات الداخلية والهجومات الخارجية التي قام بها الحفصيون ضد بني مرين .

أما العامل السياسي فيتمثل في إتحاد مملكة قشتالة وأرغونة وذلك بزواج فرديناند وإيزابيلا، مما أدى إلى إتحاد قوي للنصارى (2)، ويقابل ذلك الإتحاد صراع دموي داخلي على السلطة في دولة بني الأحمر (3).

حيث أن إيزابيل الكاثوليكية عزمت على أن تقضي نهائيا على بني الأحمر، وتخرج المسلمين جميعا من أرض الأندلس، وبإتحاد المملكتين تمكنت من ذلك ،[...وما ساعد إيزابيلافي إنفاذ وعزمها ذاك فقد ثار على أبي الحسن "على" آخر أمراء غرناطة،كل من ولديه أبي عبد الله محمد، وأبي الحجاج يوسف، وفي هذا الصراع الذي وفق أبو عبد الله في ختامه إلى إحتلال غرناطة، تدخل فرديناند زوج إيزابيلا بلباقة ودهاء، وبعد أن إنتزع من العرب بعض المدن الصغرى التي

---

[1]) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مرجع سابق ، ص 241 ، 242 .

[2] علي حسين الشطشاط ، **نهاية الوجود العربي في الأندلس** ،عبده غريب ،د ط ، دار قباء القاهرة 2001، ص62.

[3] **بني الأحمر**:وسمو ببني الحمرلأنهم من حمير أي من اليمن ،جدهم سعد وبنوا سعد القبيلة التي ربي فيها النبي صلى الله عليه وسلم ،وبنو الأحمر نسبة إلى مؤسس الدولة محمد بن الأحمر النصري ،وسمو كذلك لإستعمالهم اللون الحمر في كل بناءاتهم ،ويقال أيضا بأن تسميتهم ببني الأحمرترجع إلى شقرة فيهم،أنظر:مفيدة بن يوسف ،مرجع سابق ص 18ـــ حياة دريسي،**العلامة السلطانية والشعارات في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس منذ قيام الدولة الفاطمية إلى نهاية الدولة المرينية من خلال الوثائق والاثار**،إشراف أ/صالح بن قربة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،معهد الأثار جامعة الجزائر2010،2ـــ2011م،ص86.

دافعوا عنها أحيانا في شجاعة بالغة إستسلمت له غرناطة في 2 كانون الثاني سنة 1492 [...](1).

فمن خلال هذا يتضح لنا أن الملكة إيزابيلا قد تمكنت وبسهولة من تنفيذ رغبتها، خاصة بعدما عمت الإضطرابات بين الحكام ، وإنشغل المسلمون عن الحكم.

ب) التراعات الداخلية :

وهي متمثلة في الصراع الذي حدث بين الأسر الحاكمة في غرناطة منها ما حدث بين السلطان **سعد بن محمد بن يوسف المستعين بالله المعروف بإبن الأحمر، و إبنه الحسن علي بن سعد بن إسماعيل**،حيث ثار هذا الأخير على أبيه بتحريض من بني سراج وأخرجه من غرناطة وإمتلاكها (2)

ثم التراع الذي حدث بين **أبي الحسن علي وأخيه أبي الحجاج يوسف**، و لم ينته هذا التراع إلا بوفاة أبي الحجاج يوسف بعد ذلك بقليل ، ويذكر بروكلمان أن أبو عبد الله هو الذي وفق في نهاية هذا الصراع، وقد أعطي في بادئ الأمر ضيعة نزل فيها فترة من الزمن ،ولكنه لم يلبث أن هجرها إلى فا س، حيث قضى أيامه الأخيرة (3)، إلى جانب التراع الذي كان بين **أبو الحسن وأخيه عبد الله محمد بن سعد** المعروف "**بالزغل** "الذي كان واليا لمالقة ، وقد لجأ هذا الأخير إلى طلب المساعدة من ملك قشتالة هنري الرابع ، كذلك التراع الذي حدث بين **أبو الحسن وإبنه أبو عبد الله الصغير** ، الذي إنتهى بجلوسه على عرش غرناطة، وفرار أبيه إلى مالقة التي كان يحكمها أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل (أي الشجاع الباسل) يدير شؤون المملكة، وينظم الدفاع عنها .(4)

لقد إستغل الملك فرديناند وزوجه الملكة إيزابيلا أسر السلطان أبو عبد الله الصغير، فتفاوضا مع المسلمين من أجل إطلاق صراحه، فإنتهت المفاوضات بعقد معاهدة سرية مجحفة تتلخص في

---

(1) كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ،تعريب نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ،ط 5 ،دار العلم للملايين بيروت 1967،ص343 ، 344.

(2) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مرجع سابق ، ص 241 ، 242 .

(3) كارل بروكلمان ، مصدر سابق ،ص343..

(4) علي حسين الشطشاط ، نفسه ،ص64.

دفع المسلمين جزية سنوية قدرها إثنا عشر ألف دوبلا من الذهب (عملة ذهبية إسبانية قديمة)، وإطلاق صراح الأسرى وغيرها من الشروط، وبالفعل تم الإفراج عن السلطان أبي عبد الله الصغير في أواخر 890ه ــ 1485م، فبدأت المفاوضات بينه وإبن عمه الزغل (ملك غرناطة)في عقد الصلح وإرتضى عبد الله أن يدخل في طاعته.

3/شروط التسليم لما وقعت آخر المدن الإسلامية :

لما وقعت آخر المدن الإسلامية في قبضة النصارى عام 1492م، عقد هؤلاء (النصارى) معاهدة مع المسلمين يلتزمون فيها بإحترام دينهم ومعتقداتهم، ولكن عندما إستتب لهم نقضوا العهود وأجبروا المسلمين على التنصر، ولكن الإسلام في إسبانيا لم ينقرض بضياع غرناطة.

فلقد حافظ المسلمون على دينهم سرا جيلا بعد جيل، وقاموا بتعليم أبنائهم الدين الإسلامي حيث كان هؤلاء مسلمون سرا ونصارى ظاهرا وإسما، سماهم النصارى الموريسكيون، حاول هؤلاء المسلمون الهجرة بدينهم إلى المغرب العربي كما سنحت لهم الفرصة بذلك [1]، وألفوا كتبا باللغة الإسبانية والحروف العربية في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد إشتملت معاهدة تسليم غرناطة على **سبعة وأربعين شرطا** (2)، منها تأمين المسلمين على أنفسهم وأهلهم وأموالهم، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم وعقارهم وأن تبقى المساجد والأوقاف كما كانت ولا يقهر أحد على ترك دينه، وأن يسير المسلم في بلاد النصارى آمنا على نفسه وماله ن من غير أن يجعل له علامة كما يجعل اليهود، وأن يحكم المسلمين جماعة منهم، وأن يطلق الإسبان صراح أسرى المسلمين، وأن يكون لهم الحق في الخروج إلى إفريقيا بأموالهم وأولادهم متى شاؤوا.(3)

أما الشروط الخاصة بسلطان غرناطة هي أن يغادر إلى منطقة "البشرات "(4)، ويجعل مقره في أندرش، على أن يخضع لملك قشتالة، وإشترط ملك قشتالة قبل أن يدخل غرناطة أن يقدم إليها أهلها خمسمائة من أعيان المدينة بمثابة رهينة خشية أن يغدروا بجيشه ويثبوا على رجاله (5).

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مرجع سابق ، ص 241 ، 242 .

[2] راجع بنود المعاهدة في كتاب علي المنتصر الكتاني ،**إنبعاث الإسلام** ،مرجع سابق ،ص429،أنظر ملحق رقم 02.

[3] عادل سعيد بشتاوي ، مرجع سا بق،ص67.

[4] **البشرات** :هي منطقة من أحسن المناطق لنمو الثروات، فهي أرض مرتفعة بين سيرا نيفاذا والبحر ، طولها نحو تسعة عشر ميلا وعرضها نحو أحد عشر ميلان تتخللها التلال الصلدة والأخاديد العميقة ،أنظر: علي حسين الشطشاط ،مرجع سابق ،ص 98.

[5] نفسه، ص 67.

غير أن القشتاليون نقضوا هذه الشروط بعد سنوات من سقوط غرناطة، و لم يوفوا بأي شرط منها، ويقال بأن كل من أبي عبد الله الصغير وعمه الزغل إتفقا على تقسيم المملكة إلى قسمين فيختص الزغل بحكم غرناطة، ومالقة(1) ،وألمرية وبلش مالقة والمنكب، ويختص أبو عبد الله الصغير بحكم الأنحاء الشرقية، وإستمر الصراع بين أبو عبد الله محمد وأهل البيازين(2) بقرطبة المعارضين لعمه الزغل إلى أن إنقسمت إلى شطرين :

1)غرناطة ويحكمها أبو عبد الله الصغير .

2)وادي آش(3) و أطرافه ويحكمها عمه أبو عبد الله الزغل .(4)

إن محاصرة الإسبان لأبي عبد الله الزغل وخيانة بعض قواه قاداه إلى عقد معاهدة سرية مع ملكي قشتالة، تنص على إمتيازات، فتنازل لفرديناند عن حقوقه، وإمتيازاته لقاء مبلغ ضخم ثم نزل وهران ثم تلمسان، وهو يقضي بقية حياته تحصرا وندما، حيث أدرك هو والعديد من الكبراء أن نهاية الأندلس قد غدت قضاءا محتوما.(5)

أما مظلموا الأندلس الذين طالبوا بحريتهم، كان الإسبان قد قضوا على قسم منهم قضاء نهائي، أما القسم الآخر فقد فر بإتجاه الشمال الإفريقي منقذا حياته من موت محتم .(6)

4/تسليم غرناطة (سقوطها أو ضياعها):

في فا تحة سنة 1490م ــ 895ه أرسل الملكان الكاثوليكيان إلى السلطان أبي عبد الله الصغير سفير يطلبان فيها تسليم غرناطة، فرد عليهم بأن الشعب الغرناطي يرفض تسليم مدينته ، وهو مصمم على الدفاع و المقاومة عنها بكل ما أوتي من قوة، وقد إستمرت الحروب حول

---

(1) تبعد ملقة (**مالقة**) عن إشبيلية نحو 200 كيلو متر ويمكن الوصول إليها بالقطار ، تتميز بجوها المعتدل ،أنظر علي إسلا م باشا :**إسبانيا والأندلس** ، د ط، الإسكندرية 2001 ،ص78.

(2) **البيازين**: (رباض البيازين)، وهي تقع في الطرف الشمالي من غرناطة بين نهر دار في الشرق، وبين مجموعة من الأسوار التي تعرف اليوم بأسوار المغاربة، وحي البيازين أكبر أحياء غرناطة، وقد حافظ على طابعه الأندلسي ،أنظر : عادل سعيد بشتاوي :مرجع سابق ، ص106 وعبد الحكيم الذنون ،**آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري** ،ط 1، دار المعرفة ؛دمشق 1408هـ ــ 1988م ، ص 49.

(3) تقع مدينة **وادي آ ش** التي تسمى بالإسبانية guadix ،في شمال شرقي غرناطة على قيد ستين كيلو مترا منها وفوق منحدر ربوة صخرية عالية ، تمتد من الناحية الأخرى على ضفة نهر "وادي آش" ،أنظر: محمد عبد الله عنان، **الأثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال،دراسة تاريخية أثرية**، ط 2،مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الإسكندرية 1417 هـ ــ 1997م، ص215.

(4) عبد الحكيم الذنون ، مرجع سابق ، ص 49.

(5) علي حسين الشطشاط ، مرجع سابق ،ص64.

(6) عزيز سامح ألتر، **الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية**، ترجمة محمود علي عا مر، ط 1، دار النهضة العربية بيروت،1409هـ ــ1989 م ، ص248 .

حصون غرناطة سجالا بين المسلمين والنصارى[1]، ثم حاصر فرديناند بجيشه غرناطة 23 أفريل 1491م(12جمادى الثانية896ه)، وأحرق جنوده للحقول القريبة التي تمد غرناطة بالمؤن، فأتلفوا زروعها وهدموا قراها، وقتلوا وأسروا وحولو المرج الأخضر إلى بسيط من الفقر الموحش وقطعوا موردا من أهم مواردها، وصمم فرديناند على متابعة الحصار حتى تفتح المدينة أو تستسلم، ولما رأى أبو عبد الله الصغير عجز غرناطة عن الدفاع ولا تأمل الإمداد والغوث أرسل بطلب الهدنة من الملكين الكاثولكيين لكي يستطيع خلالهما أن يتفاهم على شروط الصلح التي يمكن التسليم بمقتضاها[2].

حيث شملت معاهدة تسليم غرناطة كل ما يمكن أهلها من تحقيق شروط عيش مقبولة في ظل الإحتلال، إذ أنها نقضت فيما بعد.(3)

وبالفعل كان تسليم غرناطة إلى النصارى في**الثاني لربيع الأول سنة 897 ه يناير 1492م** وذهب أبوعبد الله محمد بن النصري سلطان غرناطة السابق على المغرب ،وهو يتحصر على ملكه وسوء تصرفه، وكان يعيش هو وأبنائه على سؤال المحسنين .(4)

وفي الأخير يمكننا القول بأن نهاية الأندلس كانت بمثابة الضربة القاضية للمسلمين، حيث إستولى النصارى على غرناطة آخر معاقل الإسلام في إسبانيا، وإعتلت راية النصرانية على صرخ الإسلام المغلوب، وإنتهت بذلك دولة الإسلام في الأندلس، وقضي على الحضارة الإسلامية الأندلسية ، وشهد المسلمون إحتلال العدو لحضارتهم وموطن أبائهم وأجدادهم .

فقد إستولى الإسبان على غرناطة، وقامو بطرد ومحاولة هضم بقايا المسلمين (الموريسكيين) (5)في الأندلس، وإستخدموا في هذه العملية محاكم التفتيش و لم يكتف الإسبان بذلك فقط، بلقاموا

---

(1) أنظر ملحق رقم 03.

(2) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، مرجع سابق ، ص 241 ، 242 .

(3) عادل سعيد بشتاوي، مرجع سابق، ص106.

(4) علي حسين الشطشاط، مرجع سابق ،ص67.

(5) **الموريسكيين** :هم العرب المتنصرون من بقايا الأمة الأندلسية المغلوبة الذين عا شوا تحت الحكم الإسباني بعد إرغامهم على التنصير زهاء قرن من الزمن منذ أن سقطت غرناطة حتى أصدر **الملك فيليب الثالث** في عام **1609** قرارا بطرد هم من إسبانيا ، بعد أن يئست المحاولات المتعددة والمتعاقبة من تحويلهم عن دينهم وإعتناق المسيحية ،ولكن دون جدوى فإضطروا إلى مغادرة أراضيهم إذ منحوا مهملة قصيرة فإ زد حمت الطرقات بهم وإشتد الإقبال على البواخر المنطلقة من السواحل الإسبانية نحو شمال إفريقيا .

وقد إستمر هؤلاء في أنحاء مختلفة من إسبانيا والبرتغال والمغرب وتونس وفرنسا ،بل وصل بعضهم إلى القارة الأمريكية .

والموريسكيون كلمة إسبانية MO RISCOS ومعناها المسلمين أو المسلمين المغلوبين على أمرهم ،أنظر: مهد ية طيبي ،**مقاربة للوضع الإجتماعي والإقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر القرن (17م ــ 18م)من خلال سجلات المحاكم الشرعية** ،إشراف:فلة موساوي القشاعي،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ، الجزائر 2008 ــ 2009م ص15.

بإحتلال السواحل المغربية بشكل متصل من مضيق جبل طارق حتى طرابلس(1).

وكان كل هذا بعدما سلم أبو عبد الله مفاتيح المدينة للملك فرديناند بنفحة من الحزن والندم، وقال هذه المفاتيح هي آخرما لدى العرب في إمبراطوريتهم الإسبانية، هي لكم أيها الملك بها مجدنا وبها ملكنا وبها شخصنا، وتلك إرادة الله فخذها برأفتك المعهودة والتي نرجوها من يديك العظيمتين، فأعاد الملك فرديناند له هذا التعظيم بنفحة من الإستعلاء قائلا:"إياك أن تشك بوعودنا، ولا ما ستناله من صداقتنا من إزدهارحرمتك إياه الحرب و أخذ منه المفاتيح ، وأعطاها للملكة التي قدمتها بدورها إلى الأمير جوان الذي أعطاها إلى "الكونت دي تندلا"حيث عين هذا الفارس المخلص سيدا على هذه المدينة، ومشيرا على مملكة غرناطة(2).

وبهذا أصبحت مملكة غرناطة بيد النصارى، وهذا ما جعل أبو عبد الله حزينا ويتحسر ندما على ما فعل وفقد، وراح بالبكاء، لكن أمه سلطانة المتجبرة [أيقصا لا هورا] التي شعرت دائما بالمهانة من ضعف إبنها قالت له :

فعلت خيرا إذا بكيت كالنساء لأنك لم تحفظ ملكك حفظ الرجال

وعندها لحق وزيره"إبن كماشة "به وراح يعزيه بقوله "إن سوء الطالع الشديد كحسنه يامولاي إذ إستطاع الإنسان ان يخرجا منهما بشهامته دون أن يمس"لكن دموعه ظلت تسيل على خديه ،فلا شيئ يمكن أن يعزيه ، وبين شهقاته راح يردد الله أكبر هل من تعس مثلي، و يقول المؤرخ واشنطن "على هذه الهضبة التي جرى عليها هذاالحوار قريبا من قرية (بادول) حيث آخر ما نظر إليه ملك عربي أندلسي للأندلس، مرتفع سمي "**فلز الله أكبر** " .

وهي تعرف بين الإسبان بإسم آخر (آخر ما رآه المغاربة)SUSPIRO EL ULTIMO DEL MORRO.(3)

---

(1) جلال يحيى ، مرجع سابق ،ص392.

(2) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مرجع سابق ، ص 241 ، 242 .

(3)واشنطن إيرفنغ، نفسه، ص407.

المطلب الثالث :سياسة ملوك إسبانيا في مواجهة مسلمي الأندلس وبداية تصفيتهم .

1/القوى الإسبانية في إضطهاد مسلمي الأندلس :

منذ أن تم للمسيحيين القضاء على نفوذ المسلمين بالأندلس، بدأت مرحلة تتبع المسلمين في كل مكان في البر والبحر وإلى شمالي إفريقيا، ومن ثم التفكير بتطويق المسلمين في الجنوب ونشر المسيحية بينهم لكي لا يفكروا في العودة للأندلس مرة أخرى، وكان ذلك في القرن 10ه ــ16م.

فقد إتخذ الصليبيون من الرحلات الكشوفية وسيلة فعالة للوصول إلى قلب العالم الإسلامي خاصة وقد إزداد حقد الغربيين عليه بعدما تمكن محمد الفاتح من فتح القسطنطينية عام 1453م ــ 857ه .

فقد كان لإنتصار العثمانيين في ذلك أثر على الكشوفات الجغرافية (1)، إذ كانت إسبانيا في سباق دائم مع البرتغال في حركة الكشوفات الجغرافية، وذلك بهدف الحصول على مناطق نفوذ أكبر وسيطرة أوسع على منافذ التجارة الدولية (2).

فقد إعتمدت إسبانيا سياسة مجحفة في حق المسلمين وذلك لما لحق بهم من إضطهاد ديني ومحاكم التفتيش التي دارت رحاها ضد المسلمين ،ولم تنته إلا بإخراجهم من البلاد التي عمروها قرونا طويلة بسقوط آخر معقل لهم في الأندلس و هي مدينة غرناطة 898ه ــ 1492م.

حيث إضطر المسلمون بعد ذلك إلى الخروج من الأندلس، نظرا لما لحق بهم من إضطهد وتعذيب على أيدي مسيحي إسبانيا، ولم يكتفوا بذلك، بل أن المسيحيين أرغموا من بقي من المسلمين على التخلي عن دينهم وإسلامهم، ومن لم يرض أجبر على ترك البلاد، لذلك نجد أغلبهم قد إتجه إلى البلاد الإسلامية .

فحقيقة الأمر جد مروعة لما قام به مسيحي إسبانيا وأوروبا من التعذيب والتنكيل بالمسلمين لحقدهم الدفين على الإسلام و المسلمين .(3)

---

(1) أشرف محمد الصالح السيد ، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث** ، ط 1 ، الكويت 2009م ص 68.

(2) مفيدة بن يوسف، مرجع سابق ،ص 17.

(3) فائقة محمد حمزة ،عبد الصمد بحري ، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** ،إشراف أ /د يوسف علي رابع الثقفي ،رسالة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 1409هـ ــ 1989م ، ص61.

2/سياسة الملكين الكاثوليكيين في قمع مسلمي الأندلس :

في سنة 1493م غادر أبو عبد الله الغرناطي الأندلس برفقة أهله وحاشيته إلى ميناء مليلة بالمغرب، ومنه إلى حاضرة فاس، وكان عدد من هاجر معه إلى فاس1132شخصا،كما هاجر في السنوات الأولى لسقوط غرناطة عدد ضخم من كبار أهلها، وعلمائها وساداتها وأعيانها(1).

هذا وقد كانت الكنيسة متزعجة من سياسة الإعتدال التي كانت تتبعها الدولة نحو المسلمين كما كان الرهبان يتأججون عقدا على الوجود الإسلامي في الأندلس فعملوا على إقناع الدولة بضرورة تنصير المسلمين طوعا وكرها،[...فمنذ أن إستولى فرديناند على غرناطة والأحبار يطلبون إليه بإلحاح أن يعمل على سحق طائفة محمد من إسبانيا، أن يطلب من المسلمين الذين يودون البقاءإما التنصر أوبيع أملاكهم والعبور إلى المغرب، إنه ليس في ذلك خرق للعهود المقطوعة لهم، بل فيه إنقاذ لأرواحهم، وحفظ لسلام المملكة، لأنه من المستحيل أن يعيش المسلمون في صفاء وسلام مع النصارى، أو يحافظون عن ولائهم للملوك، مابقوا على الإسلام ...].(2)

وقد كانت مركز وأداة هذه السياسة الكاردينال سيسنروسcisner(3) ،والأب إيرنادودي تالافيراHernando de tala vera، بالإضافة إلى حاكم غرناطة الذي كان يقدم لهما كل المساعدة لتنفيذ خطتهما .

ومن ثم لم تمضي سنوات قليلة على سقوط غرناطة، حتى ظهرت أهداف إسبانيا و الكنيسة الكاثوليكية على حقيقتها، فهنا تظهر السياسة المجحفة في حق مسلمي الأندلس، بحيث قامت في أول الأمر بتحويل عدد من المساجد إلى كنائس، ونظمت الكنيسة فرقا تبشيرية من رهبان وراهبات لتنصير المسلمين، وإرتد الكثير من كبارهم أمثال يوسف إبن كماشة، وسعيد ونصر إبنا السلطان أبي الحسن وغيرهم .(4)

---

(1) محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512 ــ1543)** ، تصدير ناصر الدين سعيدوني ، ط 1 ،1433 هـ ــ 2012م، ص 41.

(2) محمد رزوق ، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ــ 17م**، ط 3 ، أفريقيا الشرق 1998 م، ص 57.

(3) **سيسنروس**، إشتهر بإرتكابه أبشع الجرائم في حق المسلمين بغرنطة ،بالإضافة إلى قيامه بأبشع عمل وأفضع جريمة حضارية عرفها التاريخ فقد أمر بجمع الكتب الرملة ،أعظم ساحات المدينة ،ومنها الكثير من المصاحف والكتب وأضرمت فيها النيران ،فقد أحرقت كتبا عربية عديدة بعد فتح غرناطة ، أنظر: لوي كارد ياك ،**الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ،المجابهة الجدلية 1492 ــ 1640 مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا** ،تعريب ،عبد الجليل التميمي ، ط 1 ، مارس 1983 ،ص 69. وكتاب خوليان ريبيرا ، **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية** ، ترجمة ،طاهر أحمد مكي ، ط 2، دار المعارف 1994 ،ص 145.

(4) محمد دراج ، مرجع سابق،ص 42.

وعندما لم تأت هذه السياسة بنتيجة، فإنها تحولت من سياسة اللين إلى سياسة العنف ملغية كل بنود المعاهدة الواحدة تلوى الأخرى، وهكذا تغيرت سياسة الدولة فجأة، فشرعت الكنيسة تلاحق العائلات المسلمة من أصل نصراني والزج بها في السجون، رجالا، نساءا وأطفالا إن هم رفضوا التنصير(1) ، فقد زالت حرمة المسلمين وأدركهم الهوان والذلة ، وإستطال عليهم النصارى، وفرضت عليهم المغارم الثقيلة وأمروا بالخروج من غرناطة إلى الأرياف والقرى خاصة بعد رفضهم ومعارضتهم للتنصر .(2)

فقد كان فرديناند يؤمن بأن وحدة العقيدة هي الأساس الأول الذي يمكنه من توحيد إسبانيا المجزأة، فكان يخشى بأن المسلمين ويرى بأن إحتفاظهم بدينهم ويقوي أواصر الصلة بينهم وبين إخوانهم في شمال إفريقيا وفي العالم الإسلامي بصفة عامة، ومن ثم فإن تنصير المسلمين أو إخراجهم هو العامل الوحيد لضمان سلامة إسبانيا ووحدتها، فثار المسلمون لأجل ذلك في غرناطة في 18 ديسمبر **1499**(**إنتفاضة البيازين**)، وإندلعت الثورة مرة أخرى في (**جبال البشرات**)**1501**.(3)

أ/إنتفاضة البيازين :

فرض التاج الإسباني على مسلمي الأندلس ضرائب جديدة باهضة وعوملوا معاملة سيئة، نتيجة لثوراتهم المتتابعة وفي عام 1498م أجريت عملية عزل العناصر الإسلامية عن المجتمع الإسباني وفرضت عليهم قوانين صارمة و ردعية، هذا مازاد الحماس في نفوس المسلمين للثورة وقد حاول الملك الكاثوليكي تهدئة الأحوال، فبعث سيسنروس ليبرم إتفاقا مع المسلمين غير أن هذا الإتفاق لم يلق إهتماما كبيرا من المسلمين نتيجة نقض النصارى للوعود السابقة التي لم تكن تطبق، وما زاد الأمر سوءا هو إعتداء خدمة سيسنروس على إبنة مسلم وهذا ما أثار حفيظة المسلمين وهبوا في ثورة عارمة، فاحتمى الكاردينال في بيت حاكم مدينة غرناطة الكونت دي تانديلا أقنعه بإرسال حملة تبيد الثوار المسلمين في البيازين عن آخرهم(4)، فاتجهت الحملة فعلا إلى الثوار .

وقد واجهها المسلمون بشجاعة، وفور الإشتباك الذي أدى إلى مصرع عاملي الكاردينال طاف زعماء غرناطة وعلمائها بالبيازين يحثون الناس على حمل السلاح وإعلان الإنتفاضة دفاعا عن دينهم ووجودهم والتصدي لممارسات الكاردينال بعد إستفحال خطره، فهذا ما زاد من حما س

---

(1) نفسه، ص42.

(2) علي حسين الشطشاط ،مرجع سابق ، ص96.

(3) محمد رزوق، مرجع سابق ،ص58.

(4) عادل سعيد بشتاوي، مرجع سابق ،ص59.

أهل البيازين للإستعداد لقتال جنود قشتالة والتصدي للكاردينال كان يعني التصدي للملكة إيزابيلا، فولي ثقتهما وإحترامهما وكان الوحيد القادر في تلك الظروف على تهدئة خواطر أهل البيازين، ووقف عملية إقتحام قصر الحمراء .(1)

واستمرت المفاوضات بين الطرفين وسكن سيسنروس البيازين تاركا زوجته وإبنه بها كدليل قاطع لإ لتزامه بوعده (السلم)، وذهب إلى إشبيلية ليشرح الأمر إلى الملكة إيزابيلا وأخبرها أنه من خلال سياسته أنه تمكن من تنصير العديد، وإنتهت المفاوضات على هذا الشكل إلاأنها تلتها ثورات أخرى وذلك لأن مسلمي الأندلس ظلوا يمارسون جهادهم بكل أنواع الصبر والعزيمة (2).

ب/ثورة البشرات 1051:

كان من نتائج إنتفاضة المسلمين في البيازين أن ثار إخوانهم في منطقة البشرات الواقعة جنوب غرناطة، وقد أرسل الإسبان حملة لإخضاع هذه الثورة، وكانت الحملة تقوم بعمليات تدمير كبيرة في حق كل من ذهب إلى البشرات، ووجدت الحملة مقاومة عنيفة من قبل الثوار مما أدى إلى إبرام معاهدة تعهد فيها الملكان بالوفاء ببعض شروط معاهدة الإستسلام، وبعد هذه المعاهدة إندلعت العديد من الثورات و لم تخمد إلا بعد سنة 1502م.(3)

ومن هذه الثورات نذكر على سبيل المثال ثورة البشرة، فقد إستفاد سكان مدن وقرى البشرى من عودتهم للمناطق التي يعيشون بها، وأخذوا يزيدون في تحصين قراهم ومدنهم حتى أصبح الجو يسمح لهم بشن غارات محدودة على المناطق التي سكنها القشتاليون، ووصلت أنباء إندلاع الثورة إلى إيزابيلا، فكلفت الكونت دي تاندلا (4) وغونتالو القرطبي، بإخماد الثورة قبل إستفحالها، وكان القرطبي أول من إستجاب لها، وما كاد فرسانه يقتربوا من أسوار المدينة حتى وقع قسم منهم في خنادق حفرها أهل المدينة، ثم غطوها بالزروع والقش .

لقد إستمر الحصار فترة غير معروفة إنتهت بإستسلام المدينة، فدخلها جيش القرطبي وقتل جميع رجالها وسبي نسائها وأطفالها عن آخرهم، ولصعوبة المنطقة وبنهاية السنة، بات من الواضح أن جيش القرطبي وجنود تندلة غير قادرين على قمع الثورة، وطلبا للمساعدة من فرديناند وخوفا من أن تقوى جيوش المسلمين عليهم .

---

(1) نفسه، ص 114.

(2) نفسه :ص 115.

(3) محمد رزوق ،مرجع سابق ،ص 60.

(4) كان قد مثل جانب قشتالة في مباحثات إستسلام غرناطة 1492.

وفي آذار سنة 1500م تسلم فرديناند وبنفسه تسيير القتال، وتوجه مع جيش كبير إلى جبل البشرى فأحتل عددا من القرى، ثم هاجم مدينة أندرش، ولكنه لم يتمكن من إحتلالها وحاصرها طويلا، إلا أن تمكن من إحتلالها ليلا، وتمكن بذلك وبسرعة من إحتلال مدن وقرى أخرى .(1)

ج/محاكم التفتيش:

ظهرت فكرة محاكم التفتيش في القرن الثالث عشرميلادي مع غطرسة الكنيسة الكاثوليكية وإجتهادها في ضمائر الناس في الدول التي كانت تحت سيطرتها، وطبق هذا النظام في بادئ الأمر في كل من إيطاليا وفرنسا وألمانيا، حيث كان يتجول مندبوا البابا في أنحاء البلاد لتقصي أخبار الناس وإتهام كل مخالف بالكفر ثم القبض عليه ومعاقبته، وكانت تعقد لذلك مجالس كنيسية مؤقتة كانت بمثابة محاكم التفتيش المبدئية، ثم تحل المحكمة بعد مطاردة المتهمين والقضاء عليهم .

وأنشئت أول محكمة للتفتيش في شبه الجزيرة الإيبيرية في مملكة أراغون في القرن الثالث عشر ميلادي، وحددنظامها سنة 1242م، عرفت بالديوان القديم، وإستعمل هذا الديوان بكل قساوة ضد الألبيين حتى أصبح إسمه مدعاة للإرهاب والفزع.

لم تشمل هذه المحاكم آنذاك المسلمين أو المدجنين بعد، بل أرسل سكتوس الرابع بابا روما مرسولا كلفه بالتحقيق والقبض على الخارجين على الكنيسة ومعاقبتهم (2).

"...ففي العصور الحديثة كانت إسبانيا قد شهدت بعث محاكم التفتيش للقضاء أولا على اليهود ..." .(3)

وتوسع ديوان التفتيش في فبراير علم 1482م بتعيين سبعة مفتشين جدد بمرسوم بابوي إستصدره الملكان الكاثوليكيان .

كما أنشئت بعد ذلك محاكم التفتيش في بلد الوليد وشقوبية وطليطلة وقرطبة وجيان، ثم عمت المحاكم مملكتي قشتالة وأرغون .(4)

---

(1) عادل سعيد بشتاوي ، مرجع سابق ،ص 116.

(2) علي المنتصر الكتا ني ، **إنبعاث الإسلام** ،مرجع سابق ،ص 65 ،68.

(3) عمر عبد العزيز عمر، **دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث** ، د ط، دار المعرفة الجامعية 1992،ص202.

(4) علي المنتصر الكتاني ، مرجع سابق ،ص 68.

وتبدأ محكمة التفتيش عملها بالتبليغ إما من طرف شخص بعينه أو بدونه، ويمكن إتهام شخص عن طريق التهمة أو يعترف لكل ذنوبه لقس ليغفر له، ويمكن للقس أن يستعمل هذه الإعترافات ضد المعترف(1) .

ولقد أصبحت قصة محاكم التفتيش معروفة ولا داعي لذكر ما رفقها من إحراق للمسلمين[2] وتدمير للمساجد وتحويلها إلى كنائس، وإنتهاك للحرمات وإستعباد للنساء والأطفال خاصة وقد أدت عمليات الإرهاب الوحشية إلى نزوح أهلها عنها والفرار إما إلى جبل البشرات (3)، بعد ماشرعت محاكم التفتيش في مراقبة ضمائر الناس ومعتقداتهم، فكانت تصدر أحكاما بسجن المتهم ، ومصادرة أمواله، وتعذيبه بوحشية لم يعرف لها التاريخ مثيلا.

فحقيقة الأمر جد مروعة وذلك لأن التعذيب كان يتراوح بين الإغراق والجر و سحق العظام وسلخ الجلود وتمزيق الأطراف إلى غير ذلك ممالا يخطر على عقل الإنسان،كما كانت أحكام الإعدام والحرق كثيرة، حيث أنها كانت تتم في مهرجانات عظيمة يتفرج عليها القساوسة ورجال الكنيسة والأهالي.

فمن خلال إطلاعنا على بعض الكتب وجدنا تقريبا نفس ما يحدث في كل من الدول العربية التي تعاني الإستعمار اليوم، وحالها حال فلسطين، فمسلمي غرناطة كانوا بداية إستفتح بها النصارى للقضاء على المسلمين أينما وجدوا، إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك لأن راية الإسلام مرفوعة دوما.

لقد تعددت أشكال وأساليب العقاب والعذاب إن صح القول، فكثيرا ما كان يحضر حفلات الحرق هذه الملك نفسه، وكثير من رجال الدولة، وكان الملك فرديناند من عشاق التفرج على المسلمين وهم يحرقون (4).

فتعد محاكم التفتيش هذه بمثابة أداة قهر وإضطهاد للمسلمين بعد سقوط غرناطة، وفي هذه الظروف وجد المسلمون أنفسهم مكرهين على التظاهر بقبول دين النصارى، لكنهم ظلوا مسلمين سرا، بشعائر الإسلام من صلاة وصيام وتحاشي المنكرات .

---

(1) نفسه، ص 68.

(2) أنظر الملحق رقم 04.

(3) بسام العسلي، مرجع سابق ،ص 47، 48.

(4) محمد دراج، مرجع سابق ،ص 46 ،48.

وفي سنة 905ه ــ 1499م بدأت حملة إكراه المسلمن على التنصير وواصلت محاكم التفتيش عملها في مواطن المسلمين بالأندلس، وفي سنة 907ه ــ 1501م، صدر قرار بتخيير المسلمين بين التنصير أو ترك البلاد كلها للمسيحيين وحدهم (1)، فترك المسلمون إسبانيا(2) .

ولجأ لشمالي إفريقيا، وفي سنة 1018 هـ ــ 1609م،كانت آخر مرحلة من مراحل جلاء المسلمين من الأندلس وضياع بلادهم كلها، وكان بإسبانيا عند سقوط غرناطة ثلاثة ملايين مسلم تعرضوا كلهم للمحن والآلام فمات بعضهم بالعذاب، ولجأ منهم إلى شمالي إفريقيا ليعيشوا مع المسلمين هناك (3)، ونظرا لتوجه السياسة الإسبانية بدعم وتحريض من الكنيسة الكاثوليكية إلى تنصير المسلمين وإنهاء الوجود الإسلامي، وتحت ظروف القهر والإرهاب الذي كان يعيشه المسلمون في الأندلس إضطر عدد كبير منهم إلى مغادرة الأندلس والهجرة إلى بلدان شمال إفريقيا والإستقرار بها خصوصا أرض الجزائر(4).

كما أنهم (الأندلسيون) لما يئسوا من تحقيق أي إنتصار عرضوا على فرديناند السلم ووافق على طلبهم بعدما حصل على 50،000 دوقة ذهبية وتسليم جميع الأسلحة والحصون والمنابر التي كان الأندلسيون يسيطرون عليها قبل الثورة، وحين إستلم ماطلبه منهم هيأ الأوضاع لتنصير الأندلسيون في البشرات قبل قهرهم، وفي هذه الأثناء أعلنت إيزابيلا أهل غرناطة بأنهم خرقوا معاهدة الإستسلام حين نظموا عصيانهم في البيازين(5)، حيث تمكن الإسبان من قمع الثورة وإسترقاق جميع الثوار، "وتابعت الكنيسة الكاثوليكية الممثلة بالكاردينال سيزنروس الحث على

---

(1) علي حسين الشطشاط، مرجع سابق ،ص68.

(2) **إسبانيا** دولة ملكية إسما ،تقع في غرب البحر الأبيض المتوسط ،يحدها شمالا فرنسا والمحيط الأطلسي ،وغربا البرتغال وجنوبا مضيق جبل طارق الذي يفصلها عن المغرب ،وشرقا البحر الأبيض المتوسط، وتكون مع البرتغال **شبه جزيرة إيبيريا** وتفصلها عن فرنسا جبال البرانس ،وتتبع إسبانيا الجزر الشرقية في البحر الأبيض المتوسط وهي بلد زراعي ،لكن الصناعات أخذت تنتشر خاصة في المناطق الشمالية ، ويزور إسبانيا كل سنة ملايين السواح حتى أصبحت السياحة من أهم مشاغل البلاد في مناطق مختلفة، خاصة في الجنوب ، أنظر: علي المنتصر الكتاني**المسلمون في** ،مرجع سابق ص 175،177.

(3) علي حسين الشطشاط ،مرجع سابق ،ص 68.

(4) إستقبلت **الجزائر** عددا هائلا من مسلمي الأندلس ،وذلك لأنها كانت تعيش أوضاعا خاصة شجعت أعدادا كبيرة منهم على الهجرة إليها والإستقرار بها ،فقد إستوطن عدد كبير من مهاجري الأندلس المدن الساحلية الجزائرية مثل تنس وبجاية والجزائر ووهران وكذلك المدن الداخلية مثل :المسيلة وتلمسان ، كما أدت الهجرة الأندلسية إلى نشوء مدن جديدة ذات طابع أندلسي مثل :مدينة بجاية والقليعة وغيرها ،أنظر: محمد دراج مرجع سابق ،ص 64.

(5) عادل سعيد بشتاوي ، مرجع سابق ،ص 117.

وحدة الدين لإسبانيا بعد وحدة الأرض فإستصدرت أمرا حكومياعام 905ه ــ 1499م بتنصير المسلمين..."(1).

ففي عام 1500م ذهبت الملكة إيزابيلا إلى غرناطة للإشراف على عمليات التنصير [...ووضعت مع جميع قراها ومدنها مراسيم تجبر أهلها على التنصير مقابل معاملتهم ماليا مثل معاملة النصارى القدامى وبموجب هذه المواثيق منع المسلمون المنصرون من الحج على الطريقة الإسلامية، ومن أن يلبس رجالهم ونسائهم اللباس الإسلامي وأجبروا على أن تترك أبوابهم مفتوحة أيام الجمعة والأعياد وخلال حفلات الزواج لمراقبة ما يحدث داخل بيوتهم...](2).

ثم صدر قرار بتحويل المساجد إلى كنائس ومصادرة الكتب العربية الإسلامية، فأحرقت آلاف الكتب العلمية والأدبية والدينية التي تخدم البشرية، ومنعوا من القراءة والكتابة باللغة العربية في السر والعلن، وصدر قرار أخر يمنع المسلمين من حمل السلاح وإمتلاكه، ودامت الثورة في البشرات ثلاث سنوات إستبسل فيها المسلمون وشاء الله أن ينتصر الكفار عليهم فإستشهد الكثير منهم وكذا زعيمهم بن أمية رحمه الله فرناندو دوفالور، وهرب الكثير منهم إلى المغرب وتابع الإسبان مطاردتهم و لم ينطفئ أمل الأندلسيين في إستعادة بلادهم فأستنجدوا بالعثمانيين. (3)

الخلاصة:

وفي الأخير يمكننا أن نقول أن سياسة ملوك الإسبان كانت جد قاسية ومجحفة قي حق مسلمي الأندلس، وذلك من خلال ما إطلعنا عليه، فنهايتهم كانت مأساة حقيقية للمسلمين، وذلك لما تعرضوا له من قسوة ووحشية الإسبان الممثلة في شخص الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا، والكنيسة الكاثوليكية، فهدفهم كان تنصير المسلمين والقضاء على مقوماتهم الشخصية بأي وسيلة، مستعملين في ذلك كل أساليب القمع والإضطهاد، والمتمثلة في محاكم التفتيش التي من خلالها تمكنت إسبانيا من تنفيذ أبشع الجرائم في حق مسلمي الأندلس، والأمر الغريب هنا هو أن معظم هذه العقوبات والإعدامات كانت تقام في الساحات بحضور الحكام والأمراء ونذكر على سبيل المثال فرديناند، هذا إن دل فإنه يدل لنا عن وحشية النصارى بصفة عامة، فإنهم أينما حلوا حلت اللعنة على المسلمين، فحال مسلمي الأندلس مع الأسبان كحال فلسطين مع إسرائيل وغيرها من

---

(1) ليلى الصباغ، ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ ــ أواخر عام 1568م والدولة العثمانية، **مجلة الأصالة** ،المجلد 12،العددين 27،28، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص117.

(2) محمد دراج ، مرجع سابق ،ص45.

(3) علي المنتصر الكتاني ، **المسلمون في أمريكا**، مرجع سابق، ص 182.

الدول الإسلامية العربية التي إحتلت من قبل لا يعرف الله ولا يرحم، فمسلمي الأندلس عوملوا معاملة جد قاسية من قبلهم، وهذا ما أدى بعبد الله الصغير من قبول شروط معاهدة تسليم غرناطة المتكونة من سبعة وأربعون بندا إلا أنها نقضت فيما بعد الواحدة تلوى الأخرى، وهنا يظهر لنا بأن النصارى لم يوفوا بوعودهم كالعادة، و لم تخدم مصالح غرناطة قط، فيمكننا القول عنها بأنها كانت مجرد خدعة لإستلامهم غرناطة بكل بساطة، لأن بنودها في الظاهر كانت لحماية مصالح المسلمين ولخدمتهم، إلا أنها في حقيقة الأمر عكس ذلك .

إن الجرائم التي مورست من طرف إسبانيا في حق مسلمي الأندلس لاتعد ولاتحصى هذا الشيئ الذي لم يتحمله هؤلاء وإنجر عنه العديد من الثورات ، نذكر منها على سبيل المثال:ثورة البشرات وإنتفاضة البيازين، وغيرها من الثورات الأخرى، لكن هاته الأخيرة قوبلت بالقمع من طرف حكام إسبانيا،إلا أنهم لم يكتفوا بهذا ، بل قاموا بإصدار قرارات الطرد المتتالية، وآخرها قرار الطرد النهائي عام 1609م الذي أصدزه الملك فيليب الثالث.

وهكذا إستمرت الأحداث وعمليات الجرم الفضيعة والبشعة التي إرتكبت في حق مسلمي الأندلس من قبل الإسبان، فحقا كانت سياستهم جد مجحفة، وهذا ما أدى بهم إلى طلب النجدة والإستغاثة من إخوانهم في الدولة العثمانية .

المبحث الثاني: بداية التحرش الإسباني بمسلمي الأندلس وطلب النجدة من الدولة العثمانية .

المطلب الأول: بداية إستنجاد غرناطة بالدولة العثمانية.

المطلب الثاني: دور المؤسسة الإنكشارية في عصر سليمان القانوني.

المطلب الثالث: خطة إستعادة الأندلس في عهد صالح ريس.

المطلب الرابع: أدوار القلج علي بايلرباي الجزائر.

المبحث الثاني: بداية التحرش الإسباني بمسلمي الاندلس وطلب النجدة من الدولة العثمانية.

المطلب الأول :بداية استنجادغرناطة بالدولة العثمانية.

لقد عرف النصف الأول من القرن السادس عشر أحداثا سياسية هامة قامت بتحديد مستقبل المغرب السياسي حيث ساهمت هذه الأحداث الداخلية في إسبانيا، خاصة في هاته الفترة بقسم كبير في بلورة هذه الأحداث وذلك بعد سقوط غرناطة 1492م، حيث إنتهجت إسبانيا المسيحية إتجاه مسلمي الأندلس سياسة تقضي نهائيا على كل معالم الدين الاسلامي حيث أصبحت إسبانيا تؤمن بفكرة واحدة ألا وهي تطهير أرضيهامن الإسلام والمسلمين والتي أصبحت تخشى منه ومن شبحه، وذلك بعد النجاح الكبير والسريع الذي حققته الدولة العثمانية في كامل أقطار أوروبا وآسيا وإفريقيا.[1]

هذا الشيء الذي دفع إسبانيا إلى فرض أقصى الإجراءات التعسفية في حقهم والهدف من ذلك هو تصفية الوجود الاسلامي، حيث قام ملوك إسبانيا في تلك الفترة بتطبيق قوانين جد صارمة ضد الاقلية الإسلامية الاندلسية ومن بين هؤلاء الملوك نجد الملك فرديناند والملكة إيزابيلا وفيليب الثاني[2] وغيرهم .

ومن بين هذه القوانين نذكر على سبيل المثال مصادرة الأملاك وتحريم التكلم باللغة العربية وإرتداء الألبسة الوطنية، وفتح أبوابهم أيام الجمعة والسبت، وأيضا إقامة الشعائر الدينية، وتحويل جميع المساجد إلى كنائس.[3]

1/موقف السلطان العثماني بايزيد الثاني:

بعد موجة الإضطهادات التي شهدها مسلمي الأندلس، تكررت دعواتهم وبالخصوص إلى الدولة العثمانية وذلك من أجل التدخل لإنقادهم من بطش وطغيان ملوك النصارى، وعلى وجه الخصوص رجال الكنيسة البابوية في تلك الفترة[4].

---

[1] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص،23.

[2] **فيليب الثا ني** 1527م,1598م:ولد في الحادي والعشرين من شهر آيار عام 1527م حيث قضى اولى سنتي حياته بجانب والدته الامبراطورة إيزابيلا البرتغالية،وعندما بلغ السادسه من عمره كان يشرف على تدريبه رجل من كبار النبلاء وعندما توفيت والدته قرر الامبراطور شارل الخامس ان يستأثر بتربية إبنه بنفسه على السياسةوالامور الدبلوماسية واسرار الحكم،وفي عام 1542م جعله يشترك فعليا في إدارة الحكم....أنظر:محمد عبده حتاملة،**التهجير القصري لمسلمي الاندلس في عهد الملك فيليب الثاني** 1527م، 1598 م، ط 1، عمان، الأردن،1403 هـ،1983 م، ص,11.

[3] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق ،ص،27.

[4] نفسه،ص،28.

من المتعارف عليه هو أن الدولة العثمانية كانت في تلك الفترة في أوج قوتها وتطورها هذا الشيء الذي جعلهم (مسلمي الأندلس) يتطلعون إلى حمايتهم من طرف العثمانين، فكانت هناك رسائل إستنجاد في عهد السلطان محمد الفاتح، لكن بعد وفاته إستنجد هؤلاء بإبنه بايزيد الثاني (1480م-1511م)، حيث تم إرسال هذه الرسالة مع الشاعر أبي البقاء صالح بن شريف الذي ألقى بين أيدي السلطان العثماني قصيدته مرثية الأندلس الشهيرة والتي مطلعها:

لكل شيء اذا ماتم نقصان فلا يغتر بطيب العيش إنسان

إلا أن هذا الأخير وقعت في عهده عدة أزمات، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي هذا الشيء الذي دفع هذا الأخير لعدم إغاثة مسلمي الأندلس، ومن بين تلك الأسباب نجد مشكلة الأمير جم[1](1485م-1491م) هذا من جهة، وأيضا حربه مع ترانسلفانيا والمجر والبندقية من جهة أخرى، ثم تكوين تحالف صليبي ضد هذه الأخيرة من طرف كل من البابا جيل الثاني، وجمهورية البندقية والمجر وفرنسا، حيث أدى هذا التحالف إلى حرب أدت الى تنازل الدولة العثمانية عن بعض ممتلكاتها.[2]

لكن رغم تلك الصعوبات التي كانت تواجهها، والفترة المتدهورة من تاريخها السياسي، إلا أن هذه الأخيرة لم تتوان في إستغاثة أهل الأندلس، فحاول السلطان العثماني بايزيد الثاني أن يقدم لهم ما يستطيع من الدعم والمساندة، وذلك بعد الرسالة التى وصلته من طرف آهالي الأندلس .

2/رسالة مسلمي غرناطة الى السلطان العثماني بايزيد الثاني:

لقد جاء في افتتاحية هذه الرسالةعلى النحو التالي:

الحضرة العلية، وصل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ومهد أقطارها، وأعز أنصارهاوأذل عدائهاحضرة مولانا، وعمدة ديننا ودنيانا، السلطان الملك الناصر، ناصر الدين والدنيا، سلطان الإسلام والمسلمين، قامع اعداء الكافرين،كهف الإسلام، وناصر ديننا محمد عليه محي العدل، ومنصف المظلوم ممن ظلم، ملك العرب والعجم، والترك والديلم، ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه، ملك البرين وسلطان البحرين، حامي الذمار، وقامع الكفار، مولانا وعمدتنا، وكهفنا وغيثنا،

---

[1] **الأميرجم**:هو إبن السلطان العثماني محمد الفاتح، كان شاعرا رقيقاله ديوان شعر،كما كان شاعرا غنائيا بأتم المعنى ،كما كان فارسا له عزم ابيه الفاتح ,ومطامعه واماله وكان يحب العظمة، ويعيش عيشة المترفين ،حيث دخل هذا الاخير في صراع مع أخيه بايزيد الثاني حول العرش وكان هذا شيء متوقع لانه لم يكن للدولة نظام حكم ثابت، وكان سلاطين آل عثمان يمتلكون دون أن يكون تملكهم طبقا لولاية العهد حيث حدثت معركة بين الأمير جم وأخيه بايزيد الثاني وكان الإنتصار لهذا الأخير ،هذا الشيئ الذي دفع بالأمير جم إلى الرحيل إلى مصر ونزل ضيفا عند السلطان قايتباي. ..... أنظر :محمد بن أبي السرور الصديقي البكري، مصدر سابق، ص،13.

[2] محمد دراج، مرجع سابق، ص،58.

مولانا أبو يزيد،لإزالة ملكه، موفور الأنصار، مقرونا بالإنتصار، مخلد المآثر والأثار، مشهور المعالي والفخار، مستأثراًمن الحسنات بما يضاعف الله الأجر الجزيل، في الدار الأخرة والآخرة والثناء الجميل، والنصرة في الدار، عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ومجرد على أعداء الدين من بأسها، مايروي صدور السحر والصفائح، والسنة السلاح، باذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألفت فيها الأخاير، مفارقة الأرواح الأجساد، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد[1].

حيث وصلت رسالة جاء فيها بعد الديباجة قصيدة التي وصفت الحالة التي كان يعاني منها المسلمون ، وما تعرضت له الشيوخ والنساء من هتك للأعراض وما يتعرض له المسلمين في دينهم، حيث بعثوا هاته الرسالة إلى السلطان العثماني وذلك من أجل إنقاذ الموقف هناك[2].

3/رسالة الاستغاثة التي أرسلها الأندلسيون على شكل قصيدة شعرية إلى السلطان با يزيد الثاني سنة 1501 هـ .

سلام كريم دائم متجـــــدد****أخص به مولاي خير خليفـــة
سلام على مولاي ذي المجد و العلا****و من ألبس الكفار ثوب المذلـة
سلام على من وسع الله ملكـــه**** وأيده بالنصر في كل وجهـــة
سلام على مولاي من دار ملكـــه****قسنطينة أكرم بها من مدينـــة
سلام على من زين الله ملكـــه**** بجند و أتراك من اهل الرعايـــة
سلام عليكم شرف الله قدركـــم****و زادكم ملكا على كل ملة
سلام على القاضي و من كان مقله****من العلماء الأكرمين الآجلة
سلام على أهل الديانة و التقـى****و من كان ذا رأي من أهل المشورة
سلام عليكم من عبيد تخلفـــوا****بأندلس بالمغرب في أرض غربـة
أحاط بهم بحر من الروم زاخـــر****و بحر عميق ذو ظلام و لجـــة
سلام عليكم من عبيد أصابهـــم****مصاب عظيم يالها من مصيبـــة
سلام عليكم من شيوخ تمزقـــت****شيوبهم بالنتف من بعد عـــزة
سلام عليكم من وجوه تكشفـــت****على جملة الأعلاج من بعد سترة
سلام عليكم من بنات عوائـــق****يسوقهم اللباط قهرا لخلـــوة

---

[1] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبط وتحقيق وتعليق، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، الجزء الأول،مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 13هـ. 19م، ص108.

[2] نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص103.

سلام عليكم من عجائز أكرهـت****على أكل خنزير و لحم الجيفـة
نقبل نحن الكل أرض بساطكـم****و ندعو لكم بالخير في كل ساعـة
أدام الإله ملكم و حياتكـــم****و عافاكم من كل سوء و محنـة
و أيدكم بالنصر و الظفر بالعـدا****و أسكنكم دار الرضا و الكرامـة
شكونا لكم مولاي ما قد أصابـنا****من الضر و البلوى و عظم الرزيـة
غدرنا و نصرنا و بدل ديننـا****ظلمنا و عولنا بكل قبيحـة
و كنا على دين النبي محمـد****نقاتل عمال الصليب بنيـة
و نلقى أمورا في الجهاد عظيمـة****بقتل وأسر ثم جوع و قلـة
فجاءت علينا الروم من كل جانـب****بسيل عظيم جملة بعد جملـة
و مالوا علينا كالجراد بجمعهـم****بجد و عزم من خيول و عـدة
فكنا بطول الدهر نلقى جموعهـم****فنقتل فيها فرقة بعد فرقـة
و فرسانهم تزداد في كل ساعـة****و فرساننا في حال نقص و قلـة[1]
فلما تفانت خيلنا و رجالنـا**** لم نر من إخواننا من إغاثـة
و قلت لنا الأقوات و إشتد حالنـا****أطعناهم بالكره خوف الفضيحـة
و خوفا على أبنائنا و بناتنـا****من أن يؤسروا أو يقتلوا شر قتلـة
على أن تكون مثل من كان قبلنـا****من الدجن من أهل البلاد القديمـة
و نبقي على أذننا و صلاتنـا****و لانتركن شيئا من أمر الشريعـة
و من شاء منا البحر جاز مؤمنـا****بما شاء من مال إلى أرض عـدوة
غير ذاك من شروط كثيـرة***تزيد على الخمسين شرطا بخمسة
فقال لنا سلطانهم و كبيرهـم****لكم ما شرطتم كاملا بالزيـادة
و أبدى لنا كتبا بعهد و موثـق****و قال لنا هذا أماني وذمتـى
فكونوا على أمولاكم و دياركـم****كما كنتم من قبل دون أذيـة
فلما دخلنا تحت عقد ذمامهـم****بدا غدرهم فينا بنقض العزيمـة
و خان عهودا كان قد غرنا بـها***و أحرق ما كانت لنا من مصاحـف و
لم يتركوا فيها كتابا لمسلـم****ولا مصحفا يخلى به للقـراءة

---

[1] جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين(1492م 1610م)**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009م، ص،25.

و من صام أو صلى و يعلم حالـــه****ففي النار يلقوه على كل حالـة
و من لم يجيئ منا لموضع كفرهـم****يعاقبه اللباط شر العقوبـــة
و يلطم خديه و يأخد مالـــه****و يجعله في السجن في سوء حالة
و في رمضان يفسدون صيامنـــا****بأكل و شرب مرة بعد مـــرة
و قد أمرونا أن نسب نبينـــا****و لا نذكرنه في رخاء وشـــدة
و قد سمعوا قوما يغنونا باسمـــه****فأدركهم منهم أليم المضـــرة
و عاقبهم حكامهم و ولاتهـــم****بضرب و تغريم و سجن و ذلـــة
و من جاءه الموت و لم يحضر الـذي**** يذكرهم لـم يدفنوه بحيلـــة
و يترك في زبل طريحا مجـــدلا****كمثل حمار ميت أو بهيمـــة
إلى غير هذا من أمور كثيـــرة****قباح و أفعال غزار رديـــة
و قد بدلت أسماؤنا و تحولـــت****بأسماء أعلاج من أهل الغبـاوة
وآها على أبنائنا و بناتنـــا****يروحون للباط في كل غـــدوة
يعلمهم كفرا و زورا و فريـــة****و لا يقدروا أن يمنعوهم بحيلـة
آها على تلك المساجد ســورت****مزابل للكفار بعد الطهـــارة
و آها على تلك الصوامع علقـــت****نواقيسهم فيها نظير الشهـادة
و آها على تلك البلاد و حسنهـــا****لقد أظلمت بالكفار أعظم ظلمـه
و صارت لعباد الصليب معاقـــلا****و قد أمنوا فيها وقوع الإغـــارة[1]
و صرنا عبيدا لا أسارى فنقتـــدى****و لا مسلمين نطلقهم بالشهـادة
فلو أبصرت عيناك ما صار حالنـــا****إليه لجادت بالدموع الغزيـــرة
فيا ويلنا، يا بؤس ما قد أصابنـــا****من الضر و البلوى و ثوب المذلة

---

[1] جمال يحياوي ، مرجع سابق، ص، 251.

سألناك يا مولاي بالله ربنـــا****و بالمصطفى المختار خير البرية (1)
و بالسادة الأخيار آل محمـــد****و أصحابه أكرم بهم من صحابـه
و بالسيد العباس عم نبينـــا****و شتيه البيضاء أفضل شيبـــة
و بالصالحين العارفين بربهـــم****و كل ولى فاضل ذي كرامـــة
عسى تنظروا فينا و فيما أصابنـــا****لعل إله العرش يأتي برحمـــة
فقولك مسموع و أمرك نافـــذ****و ما قلت من شيئ يكون بسرعة
و دين النصارى أصله تحت حكمكـــم****و من ثم يأتيهم إلى كل كـورة
فبالله يا مولاي منوا بفضلكـــم****علينا برأي أو كلام بحجـــة
فأنتم أولو الإفضال و المجد و العلا****و غوث عباد الله في كل آفـة
فسل بأيهم أعنى المقيم برومـــة****بماذا أجازوا الغدر بعد الأمانـة ؟
و ما لهم مالوا علينا بغدرهـــم****بغير أذى منا و غير جريمـة
و جنسهم المغلوب في حفظ ديننـــا****و أمن ملوك ذي وفاء أجلـــة
و لم يخرجوا من دينهم و ديارهـــم****و لا نالهم غدر و لا هناك حرمة
و من يعط عهدا ثم يغدر بعهـــده****فذلك حرام الفعل في كل ملـة
و لا سيما عند الملوك فإنـــه****قبيح شنيع لا يجوز بوجهـة
و قد بلغ المكتوب منكم إليهـــم****فلم تعلموا منه جميعا بكلمـة
و ما زادهم إلا اعتداء وجـــرأة****علينا و إقداما بكل مســاءه
و قد بلغت أرسال مصر إليهـــم****و ما نالهم غدر و لا هناك حرمة
و قالوا لتلك الرسل عنا بأننـــا****رضينا بدين الكفر من غير قهـرة
و ساقوا عقود الزور ممن أطاعهـــم****و والله ما نرضى بتلك الشهادة
لقد كذبوا في قولهم و كلامهـــم****علينا بهذا القول أكبر فريـــة
و لكن خوفا القتل و الحرق ردنـــا****نقول كما قالوه من غير نيـــة
و دين رسول الله ما زال عندنـــا****و توحيدنا لله في كل لحظـــة
و والله ما نرضى بتبديل ديننـــا****و لا بالذي قالوا من أمر الثلاثـــة

---

(1) جمال يحياوي ،مرجع سابق، ص،252.

و إن زعموا إنا رضينا بدينهـــم****بغير أذى منهم لنا مســـاءه
فسل و حرا عن أهلها كيف أصبحوا****أسارى و قتلى تحت ذل و مهنـة
و سل بلفيقا عن قضية أمرهـا****لقد مزقوا بالسيف من بعد حسـرة
و منيافه بالسيف مزق أهلهـا****كذا فعلوا أيضا بأهل البشـــرة
و أندرش بالنار أحرق أهلهـا****بجامعهم صاروا جميعا كفحمـــة
فها نحن يا مولاي نشكو إليكـــم****فهذا الذي نلناه من شر فرقـة
عس ديننا يبقى لنا و صلاتنـــا****كما عاهدونا قبل نقص العزيمـة
و إلا فيجلونا جميعا من أرضهـــم****بأموالنا للغرب دار الأحبـــة
فأجلاؤنا خير لنا من مقامنـــا****على الكفر في عز على غر ملـة
فهذا الذي نرجوه من عز جاهكـــم****و من عندكم تقضى لنا حاجـة
و من عندكم نرجو زوال كروبنـــا****و ما نالنا من سوء حال و ذلـــة
فأنتم بمحمد الله خير ملوكنـــا****و عزتكم تعلو على كل عـــزة
فنسأل مولانا دوام حياتكـــم****بملك و عز في سرور و نعمـة
و تمدين أوطان و نصر على العبـــد****و كثرة أجناد و مال و ثـــروة
و ثم سلام الله تتلوه رحمـــة****عليكم مدى الأيام في كل ساعـة[1]

حيث يقول محمد دراج في كتابه دور الإخوة بربروسا {...أرسل إلى البابا رسولا يعلمه بأنه سوف يعامل المسيحيين في إستانبول، وسائر مملكته بنفس المعاملة، إذا أصر ملك قشتالة على الإستمرار في محاصرة المسلمين في غرناطة والتضييق عليهم.

---

[1] جمال يحياوي، مرجع سابق، ص، 253.

وبالفعل أرسل أسطولاً بقيادة كمال ريس إلى الشواطئ الإسبانية عام 1486م، فقام هذا بإحراق وتخريب السواحل الإسبانية والإيطالية ومالطا، ونقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى تركيا.....}[1] .

وهناك روايات أخرى تقول بأن السلطان الحفصي عبد المؤمن وبعد النجاح الذي حققه في وساطته، وذلك في عقد صلح بين الدولة العثمانية ودولة المماليك هذا من جهة، ومن جهة أخرى أيضاً عقد تحالف آخر بين الحفصيين والعثمانيين والمماليك، حيث ينص على دعم مسلمي الأندلس، حيث كان ينص هذا الإتفاق على إرسال العثمانيون أسطولاً إلى سواحل إيطاليا تكون مهمته إنهاء الإسبان، بينما تنتهز الفرصة ويقوم المماليك بإرسال قوات تنطلق من شمال إفريقيا إلى الأندلس لنجدة هؤلاء هناك[2].

بالرغم من كل المجهودات التي بذلتها الدولة العثمانية في إنقاذ هؤلاء المضطهدين، ومع محاولات السلطان العثماني بايزيد الثاني إلا أنها لم تعط نتيجة فعالة[3].

هنا نرى آمال مسلمي الأندلس لم تكن منقطعة النظير، فكانوا هؤلاء يتتبعون حركات الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، ويتعقبون إنتصاراتها، هذا الشيئ الذي دفعهم إلى إرسال رسالة ثانية إلى الدولة العثمانية، وكان ذلك في عهد السلطان سليمان القانوني، وهذا ماكان بالفعل.

4/نداء إستغاثة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني :

وبالرغم من كل الصعوبات التي واجهت هذه الفئة المحرومة إلا أن أملهم ظل قائما، فكانوا يتتبعون باهتمام مدى النجاحات التي حققتها الدولة العثمانية على المستوى العالمي هذا الذي بعث في نفوسهم التعاون معهم، هذا الشيء الذي أثار مخاوف قادة إسبانيا وذلك باتحادالمورسكيين مع العثمانيين وبعد الهزائم المتكررة التي ألحقت بإسبانيا حيث شاعت في مشارق الأرض ومغاربها، حيث كان وقعها شديدا على القادة ورجال الدين، إلا أن صداها كان مؤثرا لدى مسلمي الأندلس، هذا الذي جعلهم يتطلعون إلى النجدة من السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 1541 م، حيث جاءت **الرسالة** كالتالي[4] :

---

[1] محمد دراج، مرجع سابق، ص، 60 .

[2] نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص، 104.

[3] جلال يحيى ، مرجع سابق، ص،202.

[4] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص ص، 29 32.

" بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى أله وصحبه أجمعين يقبل مواطئ الأقدام الشريفة التي تراها، إذ مر بالعيون الرمدة أبراها، ورحاب الأكف الكريمة التي عطاها ، إذا مر بالأرض الممحلة أتراها أقدام شانها السعي في الخيرات والقربات ، وأكفت شانها فعل الخيرات والمكرمات، أدام الله ايام ونصر أعلامها واوطاء (كذا) ركابها أعناق الملحدين والمتمردين ، وأنعشه في كل وقت بنصر وفتح مبين نسال (كذا) الله تعالى أن يجعله أركابا لم يزل ممتطبا مطابا السعد محفوفا بالسعود قطبا للسيادة السلطانية عليه تدور وبه تسود، وأن يجعله دائما باقيا في درجات العز والملك إلى أخر الدهر، مصونا في حرز كشف الله الحريز، وأن يخرق له العادة بطول بقائه وما ذلك على الله العزيز، ركاب خطرة الجود، ورواق العز الممدود ومعدن الرأفة والحنان، ومامن الخائف اللهفان، و مظمن أن الله و يأمر بالعدل والإحسان، حضرة فخر الملوك البسيطة كبير سلاطين الزمان، منيل أفانين الأماني والأمان ، الملاذ الأعظم والتمال .[1]

الأعصم ذي العروة التي (كذا) لا تفصم والحجة التي (كذا) لا تخصم الذي يعترف له القاصي والداني بالفضل على الإطلاق يبوئه رتبة الأصالة والجلالة بالإستحقاق ولم لا فهو نسيم الخلافة العلية في منصب الوراثة، وحايز الفضيلة السنية في من خدمة المساجد الثلاثة وله ملك مصر وانهارها، والشام وديارها والحجاز وشرف مقدارها وإلى حضرته مجتمع الرفاق من الأفاق وإليها تحجج الأجسام بالرحلة والأفئدة بالأشواق، وعلى جمع تلك الحضرة العليا لمحاسن الدين والدنيا، إنعقد الأجماع والأصفاف(كذا) مولانا السلطان الملك الأشرف الأضخم الأرفع الأعرف الأعلم الأحلم، الأرحم الأرف (كذا) لاجود الأكرم إلاسمع الأعطف قامع الملحدين، وقاطع دابر الطغاة (كذا) البغات (كذا) او المردة والمفسدين، ممهد طريق الحج والعمرة والزيارة، القائد بشرف الدين والدنيا من جهاد في سبيل الله والسقاية في المسجد الحرام والعمارة مظهر البسيطة من درن فسادها ومظهر أيات الرافة والرحمة في بلادها، سلطان الإسلام والمسلمين، عز الدنيا والدين وظل الله على الخليفة اجمعين السلطان بن السلطان بايزيد بن محمد خان، مد الله ظلال النعمة بإمتداد ظلاله، وضاعف لديه

[1] جمال يحياوي ، مرجع سابق،ص،256.

مواهب أكرامه وافضاله ، وأدام نجم سعده المنير باهر الإشراق، وجعل سهم ضده الحقية لازم (1) الأخفاق، وحفظ بشهب اولياء مجده من مردة النفاق ، جميع الأقطار والأفاق ، فهو الأمام الهمام ، والأسد الباسل الضرغام، الذي مهد الله تعالى بدولته البلاد، وأمن ببركة إيالته في مسالكها وممالكها العباد، ومزق به ثوب الفساد، وقطع بسيفه وسنانه وبادرتي قلمه الأعلى ولسانه دابر أهل العناد، فسعد الإسلام بدولته، وأعتز دين الله العزيز في مدته، وخمدت نيران البغي بسعادته ، وامتدت الأماني وشمل الأمان بحسن سياسته ، نسال (كذا) الله أن يصل لسيدنا ومولانا عادت (كذا) نصره وتمكينه، ويريه قرة العين في دنياه ودينه وبعد : فإن عبيدك الفقر (كذا) المساكين المنقطعين بجزيرة الأندلس وجملة عدتهم ثلاثمائة ألف وأربعة وستون ألف منهم من رسايهم بغرناطة وغيرها خمسون والباقي من عامة المسلمين ، رافعين شكواهم، وما يلاقون من بلواهم باكين متضرعين مستنصرين بعناية مولانا السلطان دام عزه ونصره لما أصابهم من أعداء الدين وطغاة المشركين، وما هم فيه من مكابدة الكفار، ومقاسات (كذا) التضييق والأضرار ، وجور أهل الشرك أناء وأطراف النهار، وتحريقهم إيانا بالنار، قد تكالب العدو علينا ومدد السوء والضرر الينا، واحاطت بنا الاعداء من كل جانب، ورمونا عن قوس واحد بسهم صابب ، وطالت بنا الأيام ، وعاشت فينا يد النكاية والأيلام وخذلنا جيراننا وإخواننابسهم صابب، وطالت بنا الأيام، وعاشت فينا يد النكاية والأيلام، وخذلنا جيراننا وإخواننا ببلاد المغرب من أهل الإيمان، وقد كان بجوارنا الوزير المكرم، والمجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين، علم بأحوالنا، وما نجده من عظيم أهوالنا لما كان في الجزائر، وإجتمعت أهل الإسلام على طاعة مولانا ومحبته بالخواطر والضمایر (كذا)، وإنتظم العدل والشرع والأمان في البادي والحاضر، فإستغثنا به فأغاثنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين، من أيدي الكفرة المتمردين، ونقلهم إلى أرض الإسلام، وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال ونواحي تلمسان، فلم سمع الكافر اللعين بذلك ولم يقدر على منعنا بالسياسة والإهانة والحرق بالنيران، علم أنا إخترنا المصيبة في الأموال والأبدان وأثرنا ديننا على سائر الأديان، فلما صدقة الضمائر، وبلغت القلوب الحناجر، خاف من عصبتنا واجتماع كلمتنا وتركنا أموالنا وأوطاننا وهجرتنا وفرارنا إلى بلاد الإسلام لسلامة ديننا ،

---

(1) عبد الجليل التميمي ، مرجع سابق ، ص3* عثر على هذه الوثيقة الدكتور عبد الجليل التميمي ، بمتحف طوب كابي ، بإسطنبول ، ونشرها في **مجلة الاصالة الجزائرية** سنة 1974 م ، عدد 24 ، ص 36 – 75 .

تحاير في أمره، وجمع إليه أهل تدبيره وحزبه، فدبروا ومكروا وهل يحيق المكر السيء إلا باهله ؟ وإتفق رأيهم المعكوس، وتدبيرهم المنكوس، على قتال الجزائر، لئلا يبقى ببلاد المغرب لأهل الإسلام ناصر، فعاقبهم الله بعقاب أصحاب الفيل، وجعل كيدهم في تضليل، وأرسل إليهم ريح عاصف وموج قاصف (كذا)، فجعلهم بسواحل البحر ما بين أسير وقتيل، ولا نجا منهم من الغرق القليل، والأن إشتد غضبهم على أهل الإسلام، وهم يتوسلون بالرهبان، والأصنام ونحن نتوسل بسيد الأنام إلى موجب الوجود ذو(كذا)الجلال والإكرام، وهم عازمين(كذا)على الجزائر، والله تعالى هلكهم وينصر دينه وهو نعم الناصر، يامولانا سلطان البرين والبحرين نصركم الله، المدد المدد لنصرة الجزائر لأنها سياج لأهل الإسلام وعذاب وشغل لأهل الكفر والطغيان، وهي موسومة باسمكم الشريف، وتحت إيالة مقامكم المنيف، وقد أصبحت القلوب منكسرة بها عزيزة، والرعية المختلفة بها مؤتلفة أليفة، وطراز رونقها المجاهد في سبيل الله عبدكم الوزير الأجل خير الدين، المتمثل لأوامر مولانا، ونتاج عز الدنيا والدين، فإنه أحيا هذا الوطن وجميع النواحي والسكن، وأرعب قلوب الكفار، وخرب ديار المردة الفجار، وأظهر نظام السلطنة العثمانية وأحكام مولانا نصره الله حتى تزينت بها الديار، والامصار، فنرغب ونطلب من مولانا نصره الله فيما يراه من إرساله لهذا الوطن إن رءا(كذا)مولانا صلاح(كذا)في ذلك فيكون ذلك غاية الإحسان لجميع أهل الإسلام وقهر ونكاية لحزب الشيطان، وقد إتفق جمعنامن المسلمين المذكورين على رفع الشكوى (كذا)إلى مولانا السلطان الاعظم سلطان الإسلام لازال بالعز موصوف(كذا)وبالبهاء والنصر محفوف(كذا)بأن يغيثنا بإرسال المجاهد خير الدين باشه(كذا)إلى الجزائر، فإنه لهذا الوطن نعم ناصر وجميع أهل الشرك منه خائف وحائر(كذا)، والسلام التام على المقام الشريف العالي ورحمة الله بتاريخ أوائل شهر شعبان أحد شهور سنة ثمانية وأربعين وتسعمائة.[1]

من خلال قراءة نص الرسالة يتبين لنا مدى المعاناة والظروف الصعبة التي كان يتخبط فيها مسلمو الأندلس، وذلك خلال القرنين 16م .17م، والذي يلفت إنتباهنا في هاته الرسالة هو إطلاعهم الدقيق على أحداث البحر الأبيض المتوسط، وتتبعهم لما يحدث في تلك المنطقة، من أحداث وحروب ونتائج وسرعة وصول الاخبار إليهم[2].

---

[1] جمال يحياوي ، مرجع سابق، ص، 26 .

[2] أنظر الملحق رقم 05.

إذ بعد أقل من شهر لهزيمة شارل الخامس [1]وعلى الرغم من تحويل بقايا جيشه إلى إيطاليا بدل إسبانيا حيث وصل هذا الخبر إلى مسلمي الأندلس، وإعتبروه ذلك نصرا من عند الله، وقوي أملهم، وهذا مايفسر تلقائيا تحريرهم هذه الرسالة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني وإستنجادهم به[2].

المطلب الثاني:دور المؤسسة الانكشارية في عصر سليمان القانوني:

1/دور الجهاد البحري:

من المتعارف عليه جدا سواء كان لدى المسلمين أو أعدائهم، بأن القرصنة كانت نوعا من الجهادفي سبيل الله، حيث كان البحر يمثل مسرحه، وشهد هذا الجهاد تطورا مع نهاية القرن الخامس عشرميلادي، وذلك بعد سقوط القسطنطنية في يد الأتراك العثمانين عام 1453م هذا الشيئ الذي ساهم في تطور نشاط البحرية التركية في البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت هذه القوة لاتضاهيها قوة أخرى، خاصة في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني[3]، وأيضا لايمكن أن ننسى أنه في تلك الفترة زاد نشاط المغامرين المسلمين في البحر، وكان لسقوط غرناطة سنة 1492م آخر معاقل المسلمين في يد الأسبان[4]، هذا من جهة.

أما من جهة أخرى هو ذلك الإضطهاد الذي مورس من طرف الإسبان لبقايا الأمة الأندلسية، حيث أدأت هذه الغارات على السواحل الإسبانية، منذ أوائل القرن السادس عشر ميلادي، وذلك بعد إستيلاء التام على غرناطة من طرف الإسبان، في ذلك الوقت غادر الآلاف من المسلمين، وذلك نحو بلاد المغرب العربي، وإستقروا في بعض السواحل مثل بجاية[5]، وهران....إلخ.

حيث وهب الكثير منهم حياته للجهاد في سبيل الله والإنتقام من أولئك الذين أخرجوهم من ديارهم بالقوة، حيث وجدوا في البحر ما لم يجيدوه في البر.

---

[1] شارل الخامس:إبن فيليب الجميل وجان المجنونة (1500م 1558م)ملك إسبانيا (1516م)ملك جرمانيا(1519م)بلغ من طموحه أنه رغب في إقامة إمبراطورية عالمية,من اجل ذلك خاض حربا ضد فرنسوا الاول لمدة تزيد عن الثلاثين عاما، وإنتصر في معركة بيكوك (1522م)، حيث أخذ الملك فرنسوا الأول أسيرا وأرغمه على توقيع معاهدة مدريد (1526م)، وحاول الاستيلاء على تونس، والجزائر (1541م)، غير أن محاولاته باءت بالفشل ..... أنظر:بسام العسلي، مرجع سابق،ص، 49.

[2] عبد الجليل التميمي، مرجع سا بق ،ص33.

[3]Gurien de la Graviere: Les corsairs barbaesQues et la marine de soliman le grand, paris ,1887,p2.

[4] بسام العسلي، مرجع سابق،ص97 .

[5] بجاية:هي مرفأ بشرق الجزائر وقد لعبت المدينة دورا كبيرا في تاريخ الجزائر، وكانت على الخصوص عاصمة بني حماد الزيريين (405 547هـ/1014 ,1152 م)وقد فشلت جهود بني زيان كلها لضم المدينة لممتلكاتهم..... أنظر: مجهول، **سيرة المجاهد خير الدين بارباروس**، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي، دج، دط، دار القصبة للنشر،2009م، ص، 66.

وبالعودة إلى الحقبة الزمانية الماضية نلاحظ بأن المؤسسة الإنكشارية لعبت دورا فعالا في نجدة هؤلاء المغلوب عليهم، خاصة في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني، حيث بعدما وصل هذا الأخير إلى العرش عام 1520 م.

حيث عرفت الأحداث في تلك الفترة مسارا مغايرا، حيث قام سليمان الكبير في ذلك الوقت بتأمين الناحية الشرقية، وذلك بالإستلاء على رودس، وقام بمساندة النظام العثماني في شمال إفريقيا، وكان ذلك عن طريق إرسال قوات لهم عن طريق البحر، والهدف من ذلك هو تقديم يد العون والمساندة في حربهم ضد الإسبان، هذا من ناحية أما من ناحية أخرى فقد بعث السلطان العثماني إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا، عام931 هـ . 1524م، وذلك من أجل تنظيم الإدارة العثمانية في المشرق العربي خاصة في سوريا ومصر، حيث قام هذا الأخير بترتيب شؤون البحرية في ميناء السويس، حيث جعلوه القاعدةالأساسية لعملياتهم في البحر الأحمر، والمحيط الهندي، كما وجه السلطان العثماني جل إهتماماته إلى شن هجوم مضاد ضد الغزو البرتغالي في البحر الأحمر[1] .

لم تكتف الدولة العثمانية بهذا فقط وإنما ضاعفت حملاتها وكثفت جهودها لإنقاذ مسلمي الأندلس، وذلك بالرغم من كل المصاعب والمتاعب التي كانت تواجه الدولة العثمانية في تلك الفترة,إلا أن غزاة الجزائر لم يكفوا عن مهاجمة السفن والسواحل الإسبانية ، وإلحاق الضرر بها، كما قاموا بتأييد ثورات الأندلسيين، التي كانت تقوم من حين لآخر، غير أن الفترة التي نقوم بدراستها شهدت تصاعدا كبيرا في حملات الإضطهاد والإرهاب التي كانت موجهة لمسلمي الأندلس، حيث لجأ الكثير منهم إلى الإحتماء في الجبال[2]، في حين قام مسلمو الأندلس في تلك الفترة بإرسال عدة رسائل إستنجاد وإغاثة للدولة العثمانية، إلا انه في تلك الفترة ظهر عنصر جديد وفعال في غربي البحر المتوسط، حيث ساهم هذا الأخير في تطورمجرى الأحداث، ألاوهو ظهور بحارة من أصل تركي، ونذكر على رأسهم الأخوان الشهيران عروج وخير الدين باربا‌روس[3].

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص، 232.

[2] محمد دراج ، مرجع سابق، ص، 176 .

[3] خير الدين بارباروس:(1472م، 1543م)إسمه خضر إشتهر بلقب بارباروسا أي ذو اللحية الشقراء وأطلق عليه السلطان سليم ألأول لقب خير الدين ولد في حدود 1472 م ,بجزيرة ميدللي بعد أخيه عروج، إشتغل بالتجارة في مطلع شبابه حيث إستقر هو وأخيه عروج في تونس بعد موافقة ملكها ودخلوا إلى الجزائر عام 1512م، وذلك بعد إستنجاد أهل البلاد بهما,حيث قام بمجهودات جبارة لإنقاذ مسلمي ألأندلس.... أنظر:عبد الله حمادي ، مصدر سابق، ص، 5.

حيث إستطاعوا أن يلحقا الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1517 م، ولما قتل عروج في معركة نشبت بينه وبين الإسبان، حيث أصبح خير الدين على رأس الجزائر[1].

2/مساهمات خير الدين باربا روسا في إنقاذ مسلمي الأندلس:

حيث ظهر هذا الأخير وتألق نجمه، وأصبح إسمه يقترن بذكر أعظم أمراء البحر في ذلك العصر، فكان كالرجل المقاتل والمؤمن الخاشع ، الذي يستجيب لنداء الشرع وتلبية نداء الجهاد، حيث كان يستصرخ به الضعفاء من المسلمين في أرض الأندلس المسلوبة[2].

حيث يذكر صاحب كتاب "**الجزائر وأوروبا(1500م,1830م)**"، الذي يتحدث عن صرخة هؤلاء بأن يستدعي خير الدين إلى إسطنبول لمناقشة مسألة مهمة ألا وهي إنشاء أسطول عثماني بحيث يمكن للدولة المقهورين، حيث يقول"....في حين كان هناك صراخ المهاجرين الموريسكيين، في بلاط سليمان الذين كانوا يحثون السلطان التركي على تصحيح المظالم التي أرتكبت في حق مسلمي الأندلس، وأمام كل هذا ظهر ذلك البطل كشخصية رئيسية، فقد كان هو وقراصنته[3]، ينزلون إلى السواحل الإسبانية ويحملون معهم الغنائم والعبيد ومسلمي الأندلس الذين يرغبون في الفرار من الإستبداد الإسباني...."[4]

كما نجد بعض المصادر الأخرى التي تتحدث عن معاناة مسلمي الأندلس حيث يقول صاحب "**كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين**"المعاصر لأحداث الإبادات "....ثم ذكرت كيف كان حال المسلمين بين النصارى، يقصد الإسبان، بعد أن أدخلوهم كرها منهم في دينهم، وكانوا يعبدون دينين، دين النصارى جهرا ودين المسلمين في خفاء من الناس، وإذا ظهر على أحد شيئ من عمل المسلمين يحكمون فيهم الكفار الحكم القوي، يحرقون بعضهم كما شاهدت حالهم أكثر من عشرين سنة قبل خروجي منها..."[5].

---

(1) محمد عبد الله عنان، موقف القسطنطنية وباقي العالم الإسلامي ,من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأروبي للعالم الإسلامي عموما، **الأصالة** ،مجلة ثقافية ،العدد،28،27،المجلد، 12، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،2011م، ص، 108.

(2) عبد الله حمادي، مصدرسابق، ص، 32.

(3)القرصنة :والتي تعني اللصوصية البحرية في أقصى تجلياتها ونقول هنا الصوصية التي تقابلها في اللغات الأجنبية عبارة**PIRATRIE**وهي السطو في البحر لأغراض خاصة وبإستقلالية تامة عن أي إيالة يحتمي بها لصوص البحر **LES** PIRATES أي أنها الصوصية المقنعة بشرعية قوة حامية لذلك التنظيم ومن هنا نستنتج بأنها لصوصية مشروعة.....أنظر :نفسه ، ص، 10.

(4) جون بول وولف، **الجزائر وأوروبا (1500م,1830م)**، ترجمة أبو قاسم سعد الله ،د ط،دار الرائد ،الجزائر،1989م.ص،44.

(5) أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي، **ناصر الدين على القوم الكافرين**، تحقيق،محمد رزوق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، المغرب،1987م، ص 17.

من خلال هذا الكلام يتضح لنا بأن محبة هؤلاء لخير الدين الذي كان بالنسبة لهم المغيث والجلاب للخيرات من غزوات في عرض البحر، بحيث يمكن الإعتماد عليه وبإستطاعته قيادة جيش منصور إلى إسبانيا نفسها، لذلك قرر السلطان العثماني سليمان القانوني أن تتدخل الدولة العثمانية في شؤون البحر الأبيض المتوسط.

ومن الملاحظ أن الوجود التركي عموما والعثماني خصوصا في غرب البحر الأبيض المتوسط له علاقة بقضية المسلمين في الأندلس[1].

يتضح مما سبق ذكره هو أن هؤلاء البحارة الأتراك قد ذاع صيتهم بين الأهالي في غرب البحر المتوسط، سواء كان ذلك في شمال إفريقيا أو في الأندلس، وذلك قبل تدخل رسمي للدولة العثمانية في شؤون مسلمي الأندلس حيث نجد بعض الأسماء التركية التي سبقت آل بربروس إلى غرب البحر الأبيض المتوسط، ونذكر على سبيل المثال:براق رئيس، وكورت أوغلو مصلح الدين رئيس وسنان رئيس...وغيرهم [2].

بحيث يلاحظ بعض المؤرخين والباحثين على حد سواء أن الكثير من البحارة الأتراك، كانوا يجوبون البحر بمبادرة فردية، مستقلين بأنفسهم، بحيث يقوم هؤلاء بنقل الأسلحة إلى الأندلسيين هذا من جهة، ومدافعين عن موانئ إفريقية الشمالية ضد هجما ت المسيحيين من جهة أخرى، وبالنظر إلى الدور الفعال الذي لعبه هؤلاء حيث أصبح ينظر لهم نظرة الأبطال المدافعين على الإسلام والمسلمين[3]، في حين كان هؤلاء يعتمدون في تنفيذ عملياتهم على مسلمي الأندلس الذين أجبرا على التظاهر بتغيير دينهم، في حين كان هؤلاء يمدونهم بالمعلومات اللازمة وذلك من أجل القيام بالهجمات وضرب السواحل الإسبانية، هذا الشيئ الذي أثار حفيظة سكان هذه الموانئ وقاموا برفع دعوة إلى الملكة إيزابيلا، حيث أعلنوا بأنهم لم يعد في لإستطاعتهم دفع الضرائب وأيضا ممارسة التجارة مع الخارج، والسبب في ذلك هو غارات البحارة الأتراك والمغاربة، كل هذه الأعمال التي إشتهر بها البحارة والتي كان على رأسها خير الدين،هذا الشيئ الذي دفع مسلمي غرناطة إلى الإستنجاد بالمؤسسة الإنكشارية[4] .

---

(1) محمد دراج، مرجع سابق، ص 176.

(2) نفسه، ص 178.

(3) في الحقيقة لم يكن السلاطين المحليون في شمال إفريقيا وحدهم الذين يؤيدون غزوات البحارة الأتراك، بل كانت السلطات العثمانية في إسطنبول تشجع على مثل هذه العمليات لأنها تحقق بعض أهداف الدفاع عن موانئ المسلمين في شمال إفريقيا، وتقديم يد العون للمضطهدين الأندلسيين، والأهم من ذلك هو إنشغال إسبانيا عن المشاركة في حروب شرق البحر المتوسط بين الدولة العثمانية وأوروبا.... أنظر: نفسه،ص، 178.

(4) ناصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، ط2، البصائر، الجزائر، ص، 15.

كما أسلفنا الذكر بأن السلطان العثماني سليمان القانوني قد وقع إختياره على خير الدين باربا روسا لقيادة الأسطول حيث وجه له فرمانا سلطانيا عام 1533م جاء فيه:

"إنني عازم على غزو إسبانيا ، فاجعل رجلا تعتمد عليه ينوب عنك وأقدم علي، فإن لم تجد من تعتمد عليه فأعلمني بذلك"[1].

من المتعارف عليه عبر التاريخ والأزمنة أن قوة البحرية العثمانية قد إزدادت منذ إنضمام خير الدين وضباطه إلى مؤسسة السلطان البحرية [2]، والذي يهمنا في الأمر هو أعمال خير الدين، وغاراته الجريئة المتكررة على شواطئ إسبانيا الشرقية وإتصالاته المتكررة مع مسلمي الأندلس في بلنسية[3]وغيرها كما إستطاع أن ينقل أعدادا كبيرة إلى الثغور المغربية والتي تقدر بنحو سبعين ألف، إلا أن هذه الغارات لم تكن محض جهاد في سبيل الله، وإنما من أجل الربح والغنائم التي كانت تحقق، بحيث يعتبر مسلمي الأندلس من أغنى الطوائف المتواجدة في إسبانيا وفي تلك الآونة تطلع هؤلاء إلى شط الأمل حيث بعثوا بصريخهم إلى القسطنطنية[4]، في رسالة موجهة إلى السلطان العثماني، حيث يبثون في تلك الرسالة عن المعاناة والإضطهاد الذين ذاقوا مرارته من الطرف الإسباني، وكان أملهم كبير، بعدما خذلهم جيرانهم وإخوانهم في المغرب[5].

---

[1] محمد دراج ، مرجع سابق، ص، 180.

[2] جون بول وولف، مرجع سابق، ص، 44.

[3] **بلنسية: VALANCIA** من أهم المدن الإسبانية العامرة ويبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة وتجمع بين المدينة الحديثة وبين القديمة إذ لاتزال آثار المدينة اليونانية ، وأثار العرب الباقية تدل على مامر ببلنسية من أحداث عظام ..... أنظر: علي إسلام باشا، مرجع سابق،ص96.

[4] هي عاصمة البيزنطيين وقد فتحها محمد الفاتح سنة1453،وسميت أنذاك سلام بول أي مدينة السلام،وقد سبق المسلمين أن حاصروا هذه المدينة إحدى عشرة مرة قبل هذه المرة الأخيرة منها سبعة في القرنيين الإسلام،أنظر عبد الله حمادي: مصدر سابق،ص81.

[5] محمد عبد الله،**موقف القسطنطينية**، مرجع سابق، ص 109.

3/رسالة إستغاثة موجهة إلى خير الدين بربروسة:

حيث جاءت هذه الأخيرة على النحو التالي:

الحضرة العلية :إنقاذ أهل الأندلس "فكتب أهل الأندلس كتابا إلى خير الدين يعلمونه فيه بما وقع من النصارى من هذه المحن ويضرعون إليه في إنقاذهم بما هم فيه فوصل إليه كتابهم، فإمتعض من أجلهم ودخلت حمية الإسلام والغيرة للدين المحمدي، فعند ذلك حضر سنة ستة وثلاثين جفنا، فلما رآهم الأندلسيون، خرجوا إلى ذلك الجبل المتقدم، فتجرد في طلبهم النصرى فلما وصلوا إلى الجبل نزل أهل الأجفان من المسلمين وأتوه من ورائهم ووقع بينهم قتال عظيم، قبض الله المسلمين عليهم فأخذ الكفار في الفرار وتبعهم المسلمون في الأثر حتى أبعدوا عن مكانهم، ثم إنهم رجعوا، ولما رأى أهل الجبل من الأندلس ما منح إليه عسكر خير الدين من النصر نزلوا إليهم من الجبل وسلموا عليهم وإستبشروا بقدومهم وذهبوا إلى مدينتهم، فرفعوا نسائهم وأبنائهم، وما قدروا عليه من أموالهم، فأتوا بها إلى الأجفان ووسعوها بذلك، وركب فيها عدد كثير منهم ورجعوا إلى الجزائر بعدما خلفوا مقاتل من العسكر، يحرصون جماعة المسلمون الباقية من الأندلس، خوفا عليهم من عائلة النصارى لعنة الله عليهم، فلما وصلت الأجفان إلى الجزائر خلفوا ما حملوه من الأندلس ورجعوا إلى ذلك الجبل لحمل بقية المسلمين فتكررذلك منهم سبع مرات.

فكان جملة ما حملوه من أهل الأندلس على ماص خمسين قيل سبعين ألفا، وبقيت عادت أجفان الجزائر أنهم في كل سفر يسافرونها برسم الغنيمة يأتون إلى سواحل بلاد الأندلس برسم حمل جماعة المسلمين منها "[1].

وبالفعل لبى هذا الأخير أي خير الدين بربروسة الدعوة، وأعد مالديه من سفن إستعدادا لنقل هؤلاء المضطهدين من السياسة التعسفية التي مورست عليهم من طرف الإسبان من السواحل الإسبانية، وضمن هذا الإطار لا يمكننا أن نتجاهل الدور الفعال الذي قام به لإنقاذ الآلاف من مسلمي الأندلس ونقلهم إلى السواحل المغربية[2].

---

[1] جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، (1500م,1830م)**، د ط ، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر1987م، ص51.

[2] عزيز سامح آلتر، مرجع سابق ،ص399.

المطلب الثالث:دور الريس صالح في إسترجاع الأندلس

يعتبر الريس صالح[1]، من أحد الرجال الأبطال الذين صاحبوا عروج وخير الدين، بحيث جاهد هذا الأخير في كل الميادين كما إمتاز بحنكته السياسية وقيادته الحكيمة في عرض البحار، وبمواقفه البطولية في البر،وكما تميز في ترتيب الأمور بدقة وصواب، خاصة فيما يتعلق بنظام الحكم و الإدارة هذا من جهة، وترتيب شؤون الملك من جهة أخرى :

1/سياسة صالح رايس:

كانت تهدف سياسة الرايس الداخلية إلى تحقيق أمرين، حيث أول أمر قام به هو تحقيق الوحدة بصفة تامة ومطلقة، بين أجزاء كل الدولة الجزائرية، أماالأمر الثاني الذي قام به فيكمن في إدخال بقية أجزاء الصحراء الجزائرية الزيبان ضمن هذه الوحدة.

أما فيما يتعلق بسياسته الحربية الخارجية فقد كانت تسعى إلى ثلاثة أهداف، الهدف الأول هو إبعاد الإسبان بصفة نهائية عن أرض الجزائر، أما الأمر الثاني فقد سعى جاهدا إلى وضع حد فاصل للمشاغبات والمفاجئات التي تأتي من قبل الدولة المغربية السعدية، والتي لم تنفك بعد الحوادث التي أسلفنا ذكرها متواصلة[2]، أما الأمر الثالث فقد عمل هذا الأخير بإعلان نفير الجهاد العام والسير المتواصل برا وبحرا على رأس الجيوش الإسلامية إلى بلاد الأندلس.

حيث عمل صالح رايس جاهدا إلى تحقيق التوحيد الداخلي، فمن المعلوم أنه كان في الجنوب الجزائري إمارتان مستقلتان أولهما إمارة توقرت التي كان يتولى أمرها ملوك بني جلال،حيث كانوا يتوارثونها أبا عن جد، أما الإمارة الثانية فهي إمارة بني ورجلان (ورقلة)، حيث كان يتولى أمر هذه الأخيرة شيوخ الإباضيون ورثة دولة بني رستم، بحيث يمتد سلطانها إلى قرى وادي ميزاب غربا وإلى المنيعة جنوبا.

من الملاحظ هنا أن الإمارتان قد دخلتا أيام خير الدين باشا، ضمن الوحدة الجزائرية كما تعهدتا بدفع مقدار معين لخزينة الدولة الجامعة لمدينة الجزائر،لكن حدثت عدة تغيرات في الجزائ، هذا الشيئ الذي دفع الإمارتين إلى عدم دفع ذالك المقدا، وتعلن عن إستقلالها كالسابق عن إدارة الجزائر[3].

---

[1] يعود أصل صالح باشا القازي دوليا،مارس منذ شبابه التجول في البحار إلى جانب آل بربروس،وكان من خيرة أصدقائهم الأوفياء،لهذا كان الأخوان عروج وخير الدين يعهدون إليه قيادة العمليات البحرية، حيث قدم إلى الجزائر في أواخر نيسان 959هـ . 1552م،حيث لعب هذا الأخير دورا فعالا في إسترداد بلاد الأندلس من يد الإسبان ،بحيث توفي بمرض الطاعون في شهر رجب سنة 936هـ . 1556م،عن يناهز سبعين سنة ..أنظر: عزيز سامح ألتر، مرجع سابق،ص 184.

[2] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثة مائة سنة بين الجزائروإسبانيا1492.1792م**،ط 2،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984م،ص 337.

[3] نفسه، ص338،339.

فبعد عدة مراسلات وسفارات إلى أن هذه الأخيرة لم تعني شيئا، هنا قرر صالح رايس ورجال ديوانه التحرك لهذه الناحية حتى يدخلها طوعا أو كرها ضمن الوحدة الجزائرية، ويعود سبب ذلك هو التفرغ لمحاربة العدو،حيث قام بتجهيز جيش متكون من ثلاثة آلاف جندي مسلح بالبنادق، وتحركوا إلى توقرت واستولو عليها بعد حصار دام أربعة أيام، وفي الأخير حصلوا على ورقلة من دون أي مقاومة، وقام صالح رايس بتوقيع عقوبات صارمة على أهالي المدينة، وبعد أن حصل على ضمانات من رؤساء المدينتين، كما قام أيضا بفرض ضريبة جديدة عليهم، ومنذ ذلك الوقت إقتنع هؤلاء السكان بدفع الضرائب،كما إلتزموا بالطاعة التامة، حيث عاد هذا الأخير مرة أخرى إلى الجزائر ومعه غنائم كثيرة،حيث يقول عزيز سامح ألتر "...تحتمل هذه الغنائم على خمسة عشر ألف جمل محمل بالذهب وأكثر من خمسة ألاف أسير من العبيد..."[1].

ومن هنا يقال أن بعد العودة حدثت مناوشات وصراعات بين الريس صالح وعبد العزيز،وذلك لأن عبد العزيز شعر بأن حصته من الغنائم قليلة، ونجد أيضا حسن قورصو الذي أثر وبشكل كبير في حدوث هذه النزاعات، لكن في الأخير حدث قتال بينهما وأسفر عن هزيمة عبد العزيز وقتل أخوه، لكن هذا الإنتصار لم يكن نهائيا لأن عبد العزيز كان بمثابة عقبة في طريق لصالح ريس.

حيث يذكر عبد الرحمن الجيلالي "بأن حسن قورصو عامل تلمسان يومئذ أنه تحرك لمقاتلة عبد العزيز أمير القلعة سنة959هـ . 1550م، وكان اللقاء بينهما في نواحي بوغني والمسيلة، وكان لصالح ريس وولده محمد ضلع في هذه الحرب التي كتب النصر فيها لعبد العزيز"[2].

2/الإستيلاء على فاس:

إن ما يميز أهم الأعمال التي إشتهر بها صالح رايس وذلك خلال مدة إمارته على الجزائر، هو الولوع بغزو السواحل النصرانية في البحر والإتجاه نحو أساطيل العدو التي كانت ترسو بموانئ هذه الشواطئ، وكان هدفه الأسمى هو الظفر بمياه الأندلس التي كانت تحتوي على عشرة مراكب إسبانية، وكان ذلك خلال سنة 960هـ . 1553م، حيث قدم بها إلى الجزائر وكان من بين أهلها الأمير أبو حسون، أي هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ الوطاسي،حيث متواجدا هناك على ظهر السفينة، حيث كان الأخير مختفيا وفارا من الدولة السعدية التي كانت تتحكم في زمام المغرب الأقصى،

---

[1] عزيز سامح ألتر، مرجع سابق،ص 186،188.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق،ص334.

فكانت هناك علاقة وطيدة بين صالح ريس والأمير أبو حسون، حيث تواطئ على غزو مراكش وقاموا واسترداد مملكة بني وطاس المرينيين من يد السعديين [1].

في ذلك الوقت توجه الأسطول التركي الجزائري إلى سواحل مليلة والريف المغربي حيث بادر الجيش بالسير برا نحو المغرب تحت قيادة الريس صالح حيث أول شيئ قام به هو إحتلال تلمسان وبعدها تقدم إلى فاس[2]، فقام بحتلالها أيضا يوم 3سفر سنة 961هـ الموافق ل8جانفي 1545م، حيث إعتلى عرشها أبو حسون وكان ارتباطه وثيقا على الباب العالي، وقاموا بنفي السلطان السعدي.

لكن من الملاحظ هنا عند دراستنا لهذه الحقبة الزمنية نرى بأنه عندما عاد الأتراك إلى الجزائر نجد السلطان السعدي إغتنم الفرصة وأعاد الأمر إلى دولته [3].

بعد إنتصار صالح رايس في فاس إكتسب هذا الأخير شهرة عظيمة، حيث عمد فور عودته إلى الجزائر إلى دراسة المواقع الإسبانية دراسة دقيقة، ومن خلال هذا تبين له صدق تصوراته وخاصة بجاية وأهميتها كما أدرك الأسباب التي دفعت الإسبان لإتخاذ تدابير جيدة[4].

كان هدف صالح رايس هو إسترداد الأندلس في مطلع القرن السادس عشر والسابع عشر إلا أنه كانت هناك عدة عوائق التي حالت دون تقديم المساعدة لمسلمي الأندلس وذلك بعد إطلاع هذا الأخير على المؤامرة التي كانت تحاك ضد الدولة العثمانية، والتي كانت بين ملك المغرب والإسبان،حيث كان يهدف هؤلاء إلى طرد العثمانيين من الجزائر بمعنى ذلك أنه كلما كانت الدولة العثمانية في الجزائر،فهي بذلك تشكل خطرا على الإسبان، فبعث صالح رايس للباب العالي يخبره عن تلك المؤامرات الخبيثة، فكان رد السلطان العثماني سليمان القانوني سريعا، حيث أمر بمهاجمة سواحل وهران وذلك قبل أن تاخذ هذه المحادثات بين الطرفين السعدي والإسباني مجرى آخر، فقام السلطان بإرسال أربعين سفينة على متنها ستة ألاف مقاتل إلى صالح ريس، وذلك من أجل مساعدته في الإستيلاء على وهران والمرسى الكبير، ومنذ ذلك الحين كانت الهجرة والتجنيد الطوعي من مختلف أرجاء الدولة العثمانية هي سبب تغذية الأوجاق، وكان صالح ريس على إستعداد تام لفتح وهران،

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي،مرجع سابق،ص 234.

[2] هي مدينة تتألف من قسمين القسم القديم ويضم الأندلسيين، بحيث يفصلها عن القسم الجديد صور،أما القسم الجديد يضم القصور والثكنات والسكن إلى جانب الأغنياء قسم من الأجانب واليهود...أنظر: عزيز سامح ألتر:ص 190.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص335.

[4] عزيز سامح ألتر،مرجع سابق ،ص،193.

وقام بضم أسطوله إلى جانب الأسطول العثماني، وأصبح لديه سبعين سفينة وأربعين ألف جندي، بحيث كان ينوي إتمام زحفه بالمسير إلى مراكش وذلك من أجل القضاء على الفتن والإضطربات الداخلية وإخضاعها تحت سيطرتها لكن القدر لم يمهله فتوفى بالطاعون في شهر رجب 936هـ 1556م [1].

وفي الأخير يمكننا القول أن الدولة لم تستطع تحقيق خطتها وأهدافها في إستعادة الأندلس، من خلال وجود صالح ريس الذي كان يهدف من وراء سياسته تطهير الشمال الإفريقي من الوجود المسيحي أولا، ثم الوصول إلى أقرب نقطة للعبور إلى الأندلس، لكن كان هناك عائق حال دون ذلك ألا وهو الوجود السعدي الذي فضل التحالف مع إسبانيا والبرتغال، ليكتمل حكمها على المغرب ثم الجزائر، كل هذه الأسباب التي أسلفنا ذكرها يتضح لنا من خلالها أن الدولة العثمانية فشلت في طرد الإسبان من الأراضي الأندلسية في عهد صالح ريس[2].

المطلب الرابع:أدوار القلج علي في إنقاذ مسلمي الأندلس.

يعتبر القرن 10هـ/16م قرنا حافلا بالمتغيرات الكبيرة في خريطة العالم، وعلى إثر ذلك إنشق العالم إلى معسكرين، معسكر شرقي تحت لواء الدولة العثمانية، ومعسكر غربي مسيحي تحت لواء إسبانيا، وبما أن الدولة العثمانية كانت منطلقة من أنقاذ الحضارة العربية الإسلامية الأندلسية، والتي كانت تحت غطاء سياسي ضخم والمتمثلة في الدولة الرومانية المقدسة، هنا تتضح لنا صورة هذا المنطلق الذي جاء على حركة دينية قومية،كانت تتنافى والوجود العربي الإسلامي في الأندلس، ومن هنا نلاحظ أن لولا هذا الوجود لما كانت إسبانيا تتزعم بلاد الأندلس لحقبة من الزمن، هذا من جهة أما من الجهة الأخرى فنرى بأن الدولة العثمانية كانت نتاج الحضارة العربية الإسلامية، وكان ذلك في المشرق العربي، نذكر على سبيل المثال دمشق وبغداد وغيرها، هذا الشيئ الذي جعل من الدولة العثمانية صدى قوي وكبير ساء كن ذلك في البحر أو في البر، هذا ما جعلها تقف في وجه المد الصليبي الذي كانت تتزعمه إسبانيا، ثم برز الدور الفعال الذي لعبته الدولة العثمانية في حماية الإسلام والمسلمين، لكن هاته الأخيرة لم تكتف بالدفاع وحده وإنما باشرت بالهجوم، وذلك بتوغلها في عمق أوروبا.

---

[1] عزيز سامح ألتر، مرجع سابق،ص 196.

[2] نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق،ص150، 151.

عند دراستنا لهذه الفترة الزمنية أي القرن السادس عشر، نلاحظ بأنه ظهرت في الغرب المسيحي عدة أسماء من بينها شارلكان فرانسوا الأول وفيليب الثاني ...الخ، وبالمقابل ظهرت في العالم الإسلامي عدة أسماء وشخصيات بارزة خلدت التاريخ العثماني بصفة خاصة، والتاريخ الإسلامي بصفة عامة، ونذكر على سبيل المثال سليم الأول، سليمان القانوني، عروج وخير الدين، ودرغوث رايس والعلج علي، حيث لعبوا هؤلاء أدوار بارزة [1].

وتعتبر الجزائر الدولة الوحيدة المتحمسة لمد يد العون لمسلمي الأندلس، إذ يعتبر تعيين قلج علي[2] بيلربايا على مدينة الجزائر سوف يكون له أثر عميق في تقديم السند لهم، وهنا نؤكد الأهمية الكبيرة لولاية هذا الأخير في الصراع بالحوض الغربي للبحر المتوسط، في كان مظلومي الأندلس يعبرون عن قلقهم وإستيائهم منذ الأزمنة الماضية، وعن الحالة التي كانوا يعيشون فيها، خاصة تلك الإجراءات التي طبقت عليهم، وكان وراء ذلك ثورات قاموا بها والتي هزت الحكومة الإسبانية، مما جعلها تجند البلاد بأكملها للقضاء على هاته الثورة [3]، حيث عملوا جاهدين على القيام بإرسال وفود وسفراء إلى السلطان العثماني، والهدف من وراء ذلك هو التدخل العاجل لنجدتهم، وذلك من خلال الأسلحة والذخيرة حيث أحاطته علما بالوضعية المزرية التي تعرض لها مسلموا الأندلس، فقام هنا السلطان العثماني بتعيين القلج علي باشا واليا على الجزائر، حيث أول ماقام به هذا الأخير هو فرض النظام وتطبيق القانون[4].

1/ سياسة القلج علي في إنقاذ أهل الأندلس:

من الملاحظ تاريخيا هو أنه في عهد محمد باشا كان هناك تمرد أهل تاجوراء، وذلك بعد إستشهاد درغوث فحل القلج علي محل محمد باشا، بحيث إستطاع القلج علي أن يتحكم في زمام الأمور وذلك بتشتيت المتمردين، كما قام بالدخول إلى تاجوراء وإخضاع جميعهم تحت

إمرته، كما أمرهم بدفع الضريبة، وتقديرا للمجهودات الجبارة التي قام بها هذا الأخير، والمتمثلة في إخماد ثورة أهالي تاجوراء، بعدها صدر الأمر السلطاني التالي :"أخبرتنا بوصولك للولاية وإن البلدة

---

[1] أبو قاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، الجزء الرابع، الطبعة الأولى،دار الغرب الإسلامي1986م،ص186.

[2] ذكرته بعض المصادرأولوج علي:وكان يلقب بالفرطاسالأقرع، وأصله من أسرى نصارى "كلابر"الإيطاليين بصقلية، نشأ في أحضان القرصنة التركية وسبق أن حاز في حياته البحرية مراتب عسكرية خولته درجة الرئاسة فخلف درغوث باشا بطرابلس، وتولى ولاية تلمسان فحارب بها الإسبان، ثم صدر الأمرالعالي بتوليته بيلرباي على الجزائر فنزل بها يوم 14صفر976هـ، وإشتهر في ولايته هذه بالعزم في تسيير الإدارةوالبطولة الحربية والشجاعة الأدبية، أنظر :عبد الرحمان الجيلالي،مرجع سابق،ص 342.

[3] عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص 17.

[4] عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص 224.

المسماة تاجوراء كانت ثائرة في عهد أمير الأمراء السابق محمد بك، وبعد وصولك لها وجدتهم يعاندون في التمرد بالهجوم على العساكر المسلمين، زحفت عليهم واستوليت بعناية الله على حصنهم، وألزمتهم بالطاعة لقد بعثت لك سيفا وخلعتين ولتكن أفعالك مشكورة في حفظ وحراسة البلاد" [1] .

ومن الملاحظ هنا نرى بأن القلج علي كان قبل أن يفكر في مشروع إسترداد الأندلس كان يعلم تماما المجهودات التي بذلتها الدولة العثمانية في سبيل ذلك، وذلك في فترة تواجد خير الدين بارباروسا وخلفائه في الجزائر آنذاك والقضاء على المد المسيحي في شمال إفريقيا، كما كان على دراية تامة في النجاح الذي حققه في طرد الإسبان من بعض قواعدهم، وأيضا تحطيم حصن البنيون في الجزائر، وأيضا في إسهاماته في إنقاذ مسلمي الأندلس وذلك بالإفلات من بين أيدي النصارى واللجوء إلى شمال إفريقيا ، حيث صمم هذا الأخير على ضرورة تصفية القواعد الإسبانية في تونس، وذلك قبل بداية نشاطه في شبه الجزيرة الإيبيرية[2].

ونلاحظ هنا بأن أهداف القلج علي كانت واضحة تماما، بحيث عمل جاهدا على مساعدة الأندلسيين وذلك بعد الإنتهاء من إحتلال قبرص، لكن العثمانيين هنا لن يتمكنوا من تقديم المساعدة لأنهم تعرضوا إلى هزيمة نكراء، كذلك فإن أسطولهم البحري دمر في معركة ليبانتو[3] .

وقد قام القلج علي بتوحيد جهود الأندلسيين وذلك من أجل العمل بيد واحدة ضد المد الصليبي أي الإسبان، وذلك من أجل تشتيت جهودهم والضغط عليهم، وقد قام بجمع جيش عظيم يتألف من أربعة عشر ألف جندي مسلح بالبنادق وستين ألفامن المجاهدين العثمانيين، مع أعداد كبيرة من المدفعية كما زود هذا بألف وأربعمائة جمل الذي كان محملا بالبارود، حيث قام بإرسالهم إلى مدينتي مستغانم ومازغران[4].

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص 266.

[2] عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص222.

[3] كانت سنة 978هـ/1571م،حيث إستعادت النصرانية تحت راية البابوية، للقيام بمعركتها الحاسمة،وكانت قيادة الأسطول المسيحي قد أسندت إلى الأميرال يوحنا الأستيري فسار إلى البحر الأدرياتيك، وهو يشمل ثلاث مائة سفينة حربية، تحمل على متنها ثمانيين ألف رجل، ولم يكن مع الأميرال العثماني إلا مئتين وخمسين سفينة حربية، حيث إلتقت العمارتان الإسلامية والنصرانية يوم 7أكتوبر1571م، أمام مدينة ليبانت ببلاد اليونان، وإحتدمت نيران المعركة، وكان الأسطول الجزائري الذي يقوده القلج علي بنفسه يحتل مسيرة الأسطول الإسلامي العام فكانت الخسائر في هذه المعركة الفادحة بالنسبة للمسلمين..أنظر: أحمد توفيق المدني:مرجع سابق،ص398.

[4] عزيز سامح ألتر، مرجع سابق ،ص 226.

أهل الأندلس ونقلهم إلى الثغور المغربية، كما لا ننسى أيضا أدوار كل من الصالح ريس الذي كانت له أهداف من بينها التوحيد الداخلي للبلاد والقضاء على المشاكل الداخلية، وذلك من أجل التفرغ لمحاربة العدو الصليبي إلا أن المؤامرة الخبيثة التي كانت بين المغرب وإسبانيا، حالت دون تحقيق إسترداد الأندلس خلال القرنين 16.17م.

وأيضا الدور الفعال الذي قام به القلج علي بايلرباي الجزائر، حيث قدم هذا الأخير العديد من الإنجازات العظيمة في تاريخه، من بينها طرد الوجود الإسباني من سواحل الشمال الإفريقي، بالإضافة إلى ذلك هو تقديم المساعدة لمسلمي الأندلس.

المبحث الثالث:

الهجرات الأندلسية إلى الجزائر أنموذجا خلال القرنين(16م،17م)

-**المطلب الأول**: الهجرة ومراحلها .

-**المطلب الثاني**: ظروف الإنتقال.

-**المطلب الثالث**: موقف العلماء من الهجرة أو البقاء .

-**المطلب الرابع**: تأثير مسلمي الأندلس على الجزائر في مختلف المجالات

المبحث الرابع :الهجرات الأندلسية إلى الجزائر أنموذجا خلال القرنين (16 ــ 17م)

المطلب الأول :الهجرة ومراحلها :

تعد علاقة الجزائر بالأندلس علاقة قديمة حيث توثقت أواصرها منذ محاولة الخلافة الأموية بقرطبة إستمالة العشائر الزيانية بالمغرب الأوسط للوقوف في وجه الخلافة الفاطمية(1)، ثم توطدت هذه العلاقة أكثر بعد أن تمكن المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين، من ضم أقاليم الأندلس إلى مملكته ببلاد المغرب الإسلامي سنة 484ه، وكذلك فعل الموحدون حيث تمكنوا من إعادة الأندلس إلى حضيرتهم، بعدما ثار ملوكها ضدهم سنة 540 ــ 555ه، وأصبحت تابعة للدولة الموحدية والتي إستطاعت ضم المغرب الأوسط إلى ممتلكاتها منذ 546ه، ومما زاد هذه الصلات عمقا وترابطا، إستقرار الكثير من الأندلسيين على طول سواحل المغرب الأوسط بجناحيه الشرقي وحاضرته بجاية، والغربي وحاضرته وهران ووسطه جزائر الثعالبة (2).

وما إن إنتهى القرن السادس عشر حتى كان عدد الأندلسييين المبعدين عن وطنهم، إلى أرض المغرب كبيرا إلى الحد الذي يمكن إعتبارهم معه أقلية لها شأنها بين المغرب .

فمعظم مسلمي الأندلس الذين جاؤوا إلى الجزائر، كانوا من بلنسية وأراغون وغرناطة، وذلك بعد سقوطها عام 1492م(3).

وحل القرن السابع عشر، وجاء معه بتطورات جديدة، حيث قام الإسبانين بطرد العرب جملة، فكانت وجهة الكثيرين منهم إلى كل من فاس وتلمسان، ولكن نسبة كبيرة من هؤلاء تعرضت للموت أوللسلب والنهب بأيدي القبائل العربية .

ونجح كثير من الآخرين في الإنضمام إلى مواطنيهم في الجزائر وفي تونس (4).

وأعقب هذه العلاقات والهجرات المحدودة ،بداية النزوح الأندلسي الجماعي إلى أقطار المغرب العربي، وعلى رأسها الجزائرإثر سقوط حواضر الأندلس الكبرى في أيدي النصارى الواحدة تلوى

---

(1) ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق، ص 12.

(2) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 44.

(3)Haédo le bénédic tin fray de diego,**topographie et histoire général d'alger**, traduire de l'espanol par:m ,m,le de,monnereau et a,berdrugger,en 1870,imprimé avalladolid en 1612 ,p,19.

(4) ج س كولان ، مرجع سابق ،ص 143.

الأخرى، وكان أكثرها وقعا وأشدها أثرا سقوط مدينة إشبيلية(1) في يد الإسبان عام 722هـ ـــ 1371م، الذي كان بداية للهجرة الجماعية التي أصبح لا مناص منها بعد فشل ثورة جبال البشرات (1499ـــ 1502م)، وتخيير أهالي غرناطة بين التنصير والنفي وتفضيل الغالبية منهم للهجرة إلى أقاليم المغرب العربي، ومنها الجزائر(2) .

ومن هنا يتضح لنا أن هجرة مسلمي الأندلس للمغرب العربي عامة والجزائر خاصة لم تكن في الحسبان، إلا بعدما تعرضوا له من قبل الإسبان الغاشم .

وكان ذلك نتيجة لطغيان الإسبان بالأندلس وإعتداءاتهم المتكررة على المسلمين، هنالك تأثير عظيم على جمعهم وجماعتهم كما هو معروف من تاريخهم الحزين، فأحذوا يتسللون ملتجئين إلى الشمال الإفريقي(3) (الجزائر)، لذلك شهدت هذه الأخيرة هجرات أندلسية مبكرة قبل سقوط غرناطة سنة 1492م، الذي كان له أثر كبير على مسلمي الأندلس من جهة وإنتصارا تاريخا للإسبان بعد مرحلة طويلة من الهيمنة والنجاح من جهة أخرى، إذ أصبحت مدينة الجزائر ملجأ للهجرات الأندلسية التي عرفت ثلاث مراحل متميزة(4):

أ/ المرحلة الأولى:

إستغرقت هذه المرحلة الفترة الإسلامية المتقدمة من القرن 8إلى11م، وإرتبط فيها إستقرار العناصر الأندلسية بالنشاط التجاري خاصة، فقد كان لهذه الهجرات ميزات خاصة، بحيث أنها هجرات لأسر وجيهة وأعلام أندلسية بارزة،كان لها الأثر الكبير في جميع الميادين العلمية والإقتصادية وغيرها.

فقد كان هذاالإستقرار نتيجة للصلات الوثيقة بين الأندلس وبلاد المغرب الأوسط، فلقد ساهم الأندلسيون حينها في إنشاء أو تجديد العديد من المراكز الساحلية.

---

(1) هي من أعظم قواعد الأندلس شأنا ،وأتقنها بنيانا أكثرها أثارا ،وكانت دار ملك روم رومة رقبل غلبة القوطيين على الأندلس ،فلما غلب القوطيون عليها إستوطنوا طليطلة ،وأقروا بها ملكهم ،وبقي بمدينة إشبيلية علماء أهل روما وكتابهم ورؤسائهم ،فالأحتل بها موسى ابن نصير وحاصرها أشهرا ففتحها الله عليه ،وهرب منها علوجها إلى مدينة باجة ،أنظر: ابن عذارى ،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ص 209، وكتاب مؤلف مجهول، وذكر **أخبار مجموعة في ذكر فتح الأندلس أمرائها والحروب الواقعة بينهم** ،تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 2، القاهرة، بيروت 1410هـ ـــ 1989م ، ص 25.

(2) ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،ص 13،14.

(3) عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ، ص178.

(4) مهدية طيبي ، مرجع سابق، ص 70.

ومن هنا يمكننا القول بأن تواجد مسلمي الأندلس بالجزائر أضاف إليها الكثير، وذلك من خلال توافدهم في فترات مختلفة، حيث كانوا يحملون معهم عاداتهم وتقاليدهم بالإضافة إلى خبراتهم المهنية، وحتى في الحياة اليومية،وهذا ما أثر على الجزائريين في جميع المجالات .

ومن خلال هذا فإن الجزائر كان لها حظ وافر من هذه الحضارة مثلما قال إبن خلدون "...وكان من إتساع النطاق ما علمت، فكان فيها حظ صالح من الحضارة وإستحكامها ومعظمها من أهل الأندلس ..."(1).

فقد عرفت الجزائر خلال هذه المرحلة من الهجرة الأندلسية التي تمتد من 1212 إلى 1492م، عددهم وذلك موازاة مع حركة reconquista(2)وصول موجات هامة من هؤلاء المهاجرين الإسترداد المسيحي وسقوط الحاضرات الإسلامية الكبرى بالأندلس، كقرطبة 1236م، بلنسية 1283م، وإشبيلية1284م.

إلا أن حظ الجزائر من هذه الهجرة التي تشكل معظم صفوفها رجال علم وثقافة، فقد كان ضعيفا نسبيا بمقارنتها بالأعداد الهامة التي نزلت على بجاية(الحفصية)، وتلمسان (الزيانية)، لكن بتأسيس الحكم العثماني بمدينة الجزائر (1519م)كأولى قاعدة عثمانية في الصراع الإسباني العثماني، والنشاط البحري الذي بذله الإخوة بربروسة في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، من حملات بحرية واسعة على السواحل الإسبانية، وإستغاثة مسلمي الأندلس ونقلهم، (3)أعطى لمدينة الجزائر سمعة وشهرة في المنطقة، وإستقطاب الأنظار إليها.

أما فيما يخص الهجرة الثانية في هذه المرحلة، فقد كانت في القرن 11م ومنتصف القرن 12م، مع حكم المرابطين للمغرب والأندلس، ودامت إلى غاية إنتهاء الحكم الإسلامي بها وسقوط غرناطة بيد الإسبان وقد تزايد نزوح الأندلسيين في هذه المرحلة مع سقوط الحواضر الإسلامية الكبرى بالأندلس، فتوجه أغلبهم إلى المدن الساحلية(4)، فكانت محطة إستقرارهم الأولى بجاية لقرب سهول الناصرية، ثم تحولوا في ظروف غير واضحة إلى فحص الجزائر بمنطقة **تامنفوست**(5) المنطقة من المرافئ البحرية للجزائر الشرقية.

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق أبي عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية ،القاهرة2006م، ص403.

(2) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص45.

(3) مهدية طيبي، مرجع سابق ،ص70.

(4) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 46.

(5) هي منطقة تقع على بعد 24كلم شرق الجزائر، أنظر: مهدية طيبي ،مرجع سابق، ص 69.

فهذه المرحلة كانت بعد سقوط غرناطة 1492، فكان إختيار مدينة الجزائر كملجأهم حيث كان لهؤلاء المهاجرين دور كبير وفعال في تثبيت الحكم العثماني بالجزائر، وهذا للمساعدات التي قدموها الأتراك للتصدي للحملات الإسبانية من جهة والقضاء على الإمارات المحلية من جهة أخرى.

كما أنه قد صاحب الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قدوم جماعات كبيرة من اليهود الذين إستقروا بالحواضر الكبرى في الجزائر، وأصبحو يشكلون جماعة متميزة تمارس التجارة والمهن ذات الدخل المرتفع، حيث شهدت مقاطعة الجزائر هجرات كبيرة للأندلسيين اليهود والذين قدر عددهم خلال القرن 16م ب8000نسمة، إندمج معظمهم في المجتمع المحلي(1) .

نستخلص من خلال هذا الكلام أن الجزائر قد إستقبلت العديد من المهاجرين من مسلمي الأندلس، ومن يهود الأندلس وغيرهم، إضافة إلى التواجد العثماني بها، فكان كل من هؤلاء قد ترك بصمته الخاصة، وذلك بعد ذوبانه في المجتمع الجزائري .

ب /المرحلة الثانية :

لقد إرتبطت الهجرة الأندلسية نحو الجزائر في هذه المرحلة بسقوط آخر معقل إسلامي بالأندلس سنة (897ه ــ 1492م)غرناطة، وإنتهاج الإسبان سياسة متابعة حركة الإسترداد ببلاد المغرب وتعقب المهاجرين بها، فقد نتج عن هذه السياسة إستيلاء الإسبان على عدة مدن ساحلية جزائرية، لكن بدخول الأتراك إلى الجزائر سنة 1516م، وتأسيسهم إيالة الجزائر العثمانية عام 1519م، وهذا ما جعل المدن الجزائرية ولا سيما الساحلية تستقبل عددا كبيرا من الأندلسيين(2) ، خاصة بعد إستقرار الحكم التركي بالجزائر وتزايد نشاط القراصنة في مياه المتوسط، إتخاذ الصراع العثماني الإسباني أبعلدا عالمية، إستمر تيار الهجرة الأندلسية قويا نحو الجزائر التي إستقبلت عام 1567م عددا ضخما من المهاجرين، وما دفع حكام الجزائر، وعلى رأسهم البايلرباي علج علي (1568 ــ 1571م) إلى التفكير في إمكانية تقديم المدد لمجاهدي الأندلس،ووضع سفن تركية لحملهم إلى الجزائرفي 15جوان 1570م، وفي نفس السنة كان نزوح الأندلسيون إلى الجزائر دون إنقطاع ، بفضل نشاط البحارة الجزائريين أمثال:

---

(1) حنيفي هلايلي، **الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية**، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص1.

(2) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق، ص 48.

حسن فينتريانو(1)، وفي نفس السنة التالية 1585م إستطاعت سفن أخرى نقل سكان مدينة كالونيا كما تميزت سنة 1591م بوصول أعداد كبيرة من الأندلسيين إلى الجزائر(2).

من الملاحظ أن فترات النزوح الأندلسي قد توالت إلى الجزائر وبدون إنقاع خلال القرنيين (16ـــ17م) وهذا فإن دل فإنه يدل على أن بلد الجزائر كان مهيأ لإحتضان هؤلاء المضطهدين بالرغم من وجود بعض الصعوبات التي كانت تعترضهم، إلا أنهم وجدوا بها مكان آمن ليتمكنوا فيه من التخلص من النصارى.

لقد تركزت جهود كل من الأخوين بربروسة على تسهيل هجرة الأندلسيين، وتخليص المضطهدين منهم إلى السواحل الجزائرية حيث تمكنوا في الفترة الممتدة بين 1528و 1584م من شن ثلاثة وثلاثين غارة بحرية ناجحة على السواحل الإسبانية، أنقذوا أثناءها جموعا غفيرة من الأندلسيين، وتكررت العملية عدة مرات.

فالملاحظ هنا هو أن الدولة العثمانية في تلك الفترة كانت دولة جد قوية، ويظهر ذلك من خلال تقديمها يد العون لإخوانهم المسلمين الذين كانوا يعانون الإضطهاد، حيث أنها جعلت من بلد الجزائر قاعدة حربية لها تزحف من خلالها لإسترداد الأندلس، وذلك بعدما ذاع صيتها في العالم .

وما إن حل عام 1609م، حتى أصبح عدد الأندلسيين بمدينة الجزائر وحدها يناهز 25ألفا وأضحت الهجرة الأندلسية ظاهرة عامة تأثرت بها أغلب الجهات الساحلية، وذلك بسبب قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها الملك فيليب الثالث(3)، الذي إشتهربعدائه الشديد للمسلمين بصفة عامة.(4)

---

(1) هو بحار جزائري تمكن سنة 1584م من نقل أكثر من ألفي أندلسي من نواحي أليكانت الذين كانوا ينتظرون نجدته، أنظر:ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،ص 15.

(2) نفسه ،ص 15،16.

(3) ولد في مدريد سنة 1578 م ،إعتلى عرش إسبانيا في سنة 1598م أصبح ملكا بعد أبيه فيليب الثاني ،حيث كان ومن السهل التأثير فيه .كان ملك لين يميل إلى السلام ،بالرغم من هذه الصفة الموجودة به، إلا أنه كان أشد قساوة من والده ، وذلك من خلال إصداره لقرار الطرد النهائي لمسلمي الأندلس سنة 1609م ،أنظر: مهدية طيبي ،مرجع سابق ص 73، والإسباني أنطونيو دو مينقر هورتز والفرنسي برنارد بنثنت،**تاريخ مسلمي الأندلس (الموريسكيون حياة..ومأساة أقلية)**، ترجمة،عبد العال صالح طه، تقديم وتنقيح محمد محي الدين الأصفر، ط1، دار الأشراق، دوحة، قطر،1408ه ــ 1988م، ص 195،196.

(4)Fernand braudel, **the Mediterranean and Mediterranean world in the age of philipII**, volume one, transland from the French by sian Reynolds, p510.

أما فيما يخص المهاجرون الذين لم يتمكنوا من الإبحار مباشرة إلى السواحل الجزائرية من مسلمي إسترامادور والأرغون والمانشا، فإنهم إضطروا إلى مغادرة مواطنهم نحو فرنسا حيث إنتقلت غالبيتهم من مرسيليا إلى ليفورن ومنها إلى الجزائر(1) .

ج)المرحلة الثالثة:

وتعد هذه المرحلة آخر مرحلة للنزوح الأندلسي إلى الجزائر سنة1548م، و الذي كان مع بداية القرن 16م، وإستمر إلى القرن 17م، وقد إتخذت هذه المرحلة طابع نزوح جماعي مع قرارات التنصير القصري والطرد الإجباري التي أصدرها فيليب الثالث بهدف القضاء نهائيا على العنصر الإسلامي بإسبانيا، ومن أسباب تغريب الأندلسيين من إسبانيا هو العناد الذي كانوا عليه ،إذ أنهم رفضوا وقاوموا عمليات التنصير، وأخلصوا للقرآن الكريم أتم إخلاص، ورفضوا تعلم مبادئ الديانة الكاثوليكية، لذلك بدأت الهجرة بعدما أصدرت إيزابيلا مرسومها المشهور بإختيار الغرناطيين بين التنصير والترحيل، فرحل منهم ما يقدرب بثلاثة ملايين شخص(2) .

فلقد تحدث المقري في كتابه نفح الطيب قائلا:[...ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصير من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلي، فشدد عليهم النصارى في البحث، حتى أنهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك، ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا و لم يقبض الله لهم ناصرا، إلا أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف (1609م) فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى بتلمسان من وهران ...فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم...] (3).

فمن خلال هذا ومن جراء ما تعرض له مسلمي الأندلس من صعوبات وإضطهاد وغيرها من المعاناة ، فإنهم أدركوا حق الإدراك بأنهم فقدوا الأمل في إسترجاع وطنهم الأم غرناطة .

وفي سنة 1609م أصبح عدد الأندلسيين بمدينة الجزائر وحدها يناهز 25ألفا، وأضحت الهجرة الأندلسية ظاهرة عامة، تأثرت بها أغلب الجهات الساحلية، وذلك بسبب قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها فيليب الثالث، وكان في طليعتها قرار نفي مسلمي قشتالة الصادر في 15 سبتمبر 1609م، والذي ارغم 14ألفا من الأنداسيين على الهجرة، وكذلك مرسوم نفي مسلمي نواجي بلنسية في 22 سبتمبر من نفس السنة، والذي أدى إلى طرد 28ألفا من ميناء دانية و15ألفا من

---

(1) ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،ص 16.

(2) مهدية طيبي ، مرجع سابق ،ص 71.

(3) أحمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،ج 4، تحقيق إحسان عباس،دار صادر بيروت 1988، ص527 ،528.

ميناء بلنسية، بحيث نقل الأولون على نفقة الحكومة الإسبانية نحو وهران، بينما إضطر الآخرون للإعتماد على أنفسهم في إستئجار السفن التي حملتهم إلى السواحل الجزائرية،كما تسببت ثورة سيرا التي قام بها بقايا المسلمين في نزوح جماعات أخرى من الأندلسيين إلى الجزائر، وقد تفاوض معهم في هذا الشأن نائب الملك سيمون زاباتا وبعث أخاه رهينة إلى الجزائر ليكون محل ثقة لدى الثائرين، وبالفعل أدى هذا الأمر إلى نزول 15ألفا ثائرا من معاقلهم في 2" فيفري 1612م، وانضموا إلى جماعات أخرى، ونقل الجميع من مرسى بلنسية إلى ميناء الجزائر(1) .

فمن خلال هذا يتضح لنا أن الهجرات الأندلسية إلى الجزائر بلغت أوجها في القرنيين (16ـ 17م)، حيث توافد العديد من المهاجرين إليها ومن مختلف ولايات إسبانيا.

وهكذا تم بواسطة ثلاث رحلات نقل 116022مهاجر من أقاليم الأندلس الشرقية عن طريق مرافئ دانية وقراو وأليكانت وغيرها ما بين شهري أكتوبر ونوفمبر سنة 1609م، فكان نصيب مدينة وهران من هؤلاء المهاجرين 22ألفا نزلوا بها يوم 17أكتوبر، وضاقت بهم شوارعها مما توجب على الكثيرين منهم مغادرتها لعدم توفر الإمكانيات لهم(2) .

فإتجه منهم حوالي خمسةألاف إلى ستة ألاف إلى تلمسان، وأربعة ألاف آخرين نحو مستغانم فتعرض لهم الأعراب في الطريق ونهبوهم لعدم توفر الحراسة (3).

فالبرغم من إدراكنا ومعرفتنا للظروف التي أدت بمسلمي الأندلس للهجرة، ومعرفتنا للأماكن التي حطوا بها رحالهم،إلا أننا نجهل معرفة وتحديد عددهم وذلك لأن هجرتهم لم تكن عن طريق دفعة واحدة، وهذا يعني أنه كان كلما تكون الظروف مهيأة لهم والفرصة سانحة يهاجرون إلى مكان آمن من بلدان المغرب العربي أوإلى أي بلد آخر،كذلك الحال بالنسبة للجزائر،هروبا من القهر والإضطهاد والحرمان الذي كان يلحقهم كلما إكتشف أمرهم، أو أبدوا أي إعتراض على القوانين والمراسيم الصادرة في حقهم، خاصة إرتباطهم الوثيق بالدين الإسلامي، لأن الهدف الأساسي للنصارى هو القضاء على الإسلام قبل كل شيء، وهذا ما جعلهم يتوافدون وبكثرة على الجزائرلذلك يصعب تحديد عددهم ، حيث إختلفت المصادر التاريخية في إحصائيات المهاجرين إلا

---

(1) ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،ص 16.

(2) مفيدة بن يوسف ،رجع سابق ،ص 52.

(3) ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،ص 17.

أنه أشارت التقديرات أن عددالأندلسيين في المدينة عشية الإحتلال بلغ حوالي 12 إلى 16ألف شخص(1) .

ومما يلاحظ أن الأندلسيين كانوا يتعرضون إلى مخاطر كبيرة وجمة في طريقهم إلى الجزائر، فضلا عن الأضرار التي لحقت بهم من قبل الأعراب وإنتشار الأوبئة كما تحدث عنه المقري في كتابه نفح الطيب، ـــزيادة على ذلك أنهم كانوا يتلقون أبشع أنواع الظلم على أيدي ربابنة السفن الإسبانية، وفي غالب الأحيان ينتهي بهم الأمر إلى الغرق في البحر، ولعل قساوة هذه الظروف هي التي جعلت البعض منهم يفكر في العودة مرة أخرى إلى إسبانيا وإعلان (capitane barret) تبعيتهم للملك من وهران إلى إسبانيا على ظهر سفينته، فكان مصير العديد منهم هكذا نتيجة المضايقات والإضطهاد(2)، الذي أودى بالكثير منهم إلى الهلاك وفي بعض الأحيان إلى التنصر.

فمن خلال إطلاعنا على مختلف المصادر و المراجع يمكننا القول بأن مسلمي الأندلس حالهم كحال الفلسطينيين، وذلك لما تعرضوا له داخل بلدهم، ثم فقدانهم له بطريقة غير مباشرة إن صح التعبير، وذلك لأنهم كانت لهم رغبة كبيرة لإستعادته، إلا أنهم فشلوا في ذلك.

المطلب الثاني : ظروف الإنتقال:

إن هجرة الأندلسيين إلى سواحل المغرب العربي، والجزائر باخصوص[3]، لم تكن بالأمر السهل، وذلك لما تعرض له هؤلاء في طريقهم، أو إنتقالهم إلى أوطانهم الجديدة فبالرغم مماتعرضوا له منم سياسة مجحفة من قبل الإسبان، خاصة بعدما قام الملك الإسباني فيليب الثالث بإصدار قرار الطرد النهائي في حقهم سنة(1609ـــ 1612م)، زيادة على ذلك تعرضهم للعذاب والمعاناة عبر البحار وهم في طريقهم على الضفة الأخرى.

فقد واصل النصارى إستغلالهم للأندلسيين، فاقبلوا على نهبهم وسلبهم في البر والبحر(4)، فقد تحدث إبن الحجري قائلا :(...أمر السلطان النصراني ببلاد **"إشبانية"** أبلاد الأندلس المسمى بفيليب الثالث من إسمه بإخراج جميع المسلمين من بلاده وإبتداء ذلك كان لسنة ثمان عشرة وألف، وآخر

---

(1) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 51،52.

(2) ناصر الدين سعيدني ، نفسه ،ص 18.

(3) أنظر الملحق رقم 05.

(4) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 54.

من خرج منهم كان عام عشرين وألف وكان للأندلس يقطعون البحر في سفن النصارى بالكراء، ودخل الكثير منهم في سفن الفرنج، ونهبوهم في البحر ...)(1).

بالرغم من الصعوبات التي واجهت مسلمي الأندلس إلا أنه تمكن العديد منهم الوصول إلى أماكن (بلدان)الحماية فمثلا بلد الجزائر، فقد قدر عدد المهاجرين عليها في هذه الفترة حوالي 65ألف أندلسي منهم في الجزائر العاصمة وحدها، وتوزع عدد منها على المدن المجاورة ودخل حوالي 22ألف أندلسي للأراضي الجزائرية عبر ميناء وهران(2)، الذي كان مستعمرة إسبانية حينذاك، فانتقلوا إلى المدن الجزائرية المجاورة كتلمسان ومستغانم، وقد بلغ عدد الذين هاجروا إلى السواحل الجزائرية الأخرى،كمدينة بجاية، شرشال وعنابة، وغيرها من المدن الأخرى ب18ألف أندلسي، فكان معظمهم قادم من مملكة بلنسية مرسية وأرغون القديمة، حيث تلقى هؤلاء المهاجرين إستقبالا جيدا من قبل الأهالي والدولة العثمانية في الجزائر، حيث يسرت لهم سبل الإستيطان، فرحب بهم في المدن الجزائرية الكبرى، إلا أنهم عوملوا من طرف الأعراب في بوادي الجزائر معاملة سيئة، وذلك من خلال تعرضهم للقتل والنهب، وسلب قوافلهم(3) .

كما واجه الأندلسيون أخطارا وصعوبات أخرى فمثلا لما نزلوا بوهران ونظرا لأعدادهم الكثيرة ولعدم توفر الإمكانيات إضطروا لمغادرة المدينة (4).

لكن الأمر لم يقتصر على الأعراب فقط، بل تعداه إلى الأتراك أنفسهم ،ففي الجزائر العاصمة بعد وصول مسلمي الأندلس بقليل 1512حل بها جفاف خطير وحمل مسلمي الأندلس مسؤوليته، فصدر أمر من عميد الشرطة التركي بطردهم من العاصمة في ظرف ثلاثة أيام، وطبق هذا القرار بصرامة، حتى إن المرضى والفقراء الذين لم يستطيعوا الخروج قتلوا عنوة، فكانوا يتعرضون لنفس الإساءة أينما حلوا سواء في الجزائر، أو في بلد أخر(5) .

---

(1) أحمد بن قاسم الحجري ، **ناصر الدين على القوم الكافرين** ،تحقيق وتقديم وترجمة شوردفان كو تنكز فلد قاسم السامرائي، خيراد فيخرز د ط، ص45.

(2) هي مدينة تقع على الساحل الغربي الجزائري ،إحتلها الملكان الكاثوليكيان، إيزابيلا وفرديناند عام 1505م، أنظر: عبد الله حمادي ،مرجع سابق، ص 220.

(3) علي المنتصر الكتاني، **إنبعاث الإسلام**، مرجع سابق ،ص 180.

(4) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق، ص 54.

(5) محمد رزوق ، مرجع سابق،ص 132.

ولقد قامت السلطات العثمانية في الجزائر العاصمة بمقاومة هذه الجرائم أشد مقاومة كما تصدى لها العلماء، وكذلك بعض القبائل الواعية عن الأندلسيين،كقبيلة هبرة على جرائمها(1)

وفي الأخير يمكننا القول أن ظروف إنتقال مسلمي الأندلس إلى شمالي إفريقيا، وخاصة المغرب الأوسط ظروفا غير مواتية، وذلك لتعرضهم إلى السلب والنهب رغم قرارات التطمين الصادرة في هذا الشأن، لذلك كانت ظروف إستقبال هؤلاء من طرف البلدان المستقبلة تختلف من بلد لأخر، ومن فترة أخرى.

المطلب الثالث:موقف العلماء من الهجرة اوالبقاء.

تعتبر مسألة الهجرة من أهم المسائل التي شغلت بال وفكر مسلمي الأندلس، حيث تردد معظمهم في هذا الأمر، أي الهجرة أو البقاء بالأندلس، فعرضوا أمرهم على العلماء قصد البحث في الأمر، فكانت هنلك ثلاثة فتاوي، إثنتان لأحمد الونشريسي(2)، والأخيرة لأحمد بن جمعة المغراوي الوهراني(3)، وكل منهما له نظرته ورأيه الخاص به :

1/الفتوى الأولى للونشريسي:

كتب هذه الفتوى في شأن أندلسيين هاجروا إلى المغرب، إلا أن الظروف لم تسمح لهم بالعيش هناك، و لم ترق لهم به ذلك أنهم "ندموا على الهجرة بعد حلولهم بدار الإسلام وسخطوا وزعموا أنهم وجدوا الحال عليهم ضيقة وأنهم لم يجدوا بدار الإسلام التي هي دار المغرب ...
بالنسبة إلى التسب في طلب أنواع المعاش على الحملة رفقا ولا يسيرا ولا إلى التصرف في الأقطار أمنا لائقا ...".

وذهبوا إلى أبعد من هذا عندما صرح بعضهم أنه "إن جاء صاحب قشتالة إلى هذه النواحي نسير إليه، فنطلب منه أن يردنا إلى هناك ...".

فقد كان جواب الونشريسي مفصلا وواضحا في هذا الأمر وقال "بأن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة ...ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين

---

(1) علي المنتصر الكتاني ، مرجع سابق ، ص 180.

(2) هو أحمد بن يحيى الونشريسي ،نشأبتلمسان، تعلم أخذ العلم عن كبار العلماء، ذاع صيته ببلده، عرف بجراته وصرامته في فتواه، أحكامه فطاردته السلطة وصادرت ألاكه، ففر إلى فاس وإستقر بها، تخرج على يده عدة علماء نوصنف العديد من المصنفات منها المعيار عمر ثمانيين عاما حيث توفي سنة (911هـ ـ 1508م)بفاس.

(3) هو أحمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني، هو مفتي وهران وأصله من (المغرة) almago، وقد توفي ما بين سنتي (930 هـ ـ 1524م)، أنظر: مفيدة بن يوسف ،مرجع سابق ،ص 59.

إستولى الطاغية ـــ لعنه الله ـــ على معاقلهم وبلادهم إلى تصور العجز عنها بكل وجه وحال الوطن والمال، فإن كان ذلك ملغى في نظر الشرع "(1).

ومن هنا يتضح لنا أن الونشريسي من خلال فتوته أجاز وأشار إلى وجوب الهجرة في هذه الحالة، خاصة وأن الهدف الأسمى منها هو الهروب بالدين الإسلامي والحفاظ على النفس .

إلى جانب ذلك أنه أشار إليها بأي وجه كان وأية وسيلة أو حيلة يمكن من خلالها التحرر والحفاظ على الدين لأن ديننا الحنيف يوصينا بذلك، فكيف يمكن لمسلم أن يرى المنكرات وتشويش على الدين الإسلامي من قبل النصارى، وذلك من خلال محاولتهم تنصير العديد من مسلمي الأندلس وإزالتهم عن دينهم، إلا أنهم فشلوا في ذلك .

فأقل شيئ يمكن فعله للتخلص من هذا المشكل العويص هو الهجرة، لذا أجازها لهم الونشريسي من خلال هذه الفتوى.

بالإضافة إلى ذلك انه أشار إلى المستطيع بأي وجه كان وبأي حيلة تمكنت، فهو غير معذور وظالم لنفسه، فأصدر حكما صارما في حق الذين سبوا الإسلام وفضلوا العودة إلى أرض النصارى، وقال عنهم أنه يوجب لهم خزي الدنيا والآخرة، ونعتهم باللئام وغيرها من العبارات التي تنطبق عليهم، لأن فتنتهم أشد ضررا من فتنة الجوع والخوف ونهب الأنفس والأموال (2)، وأشار بوجوبها بإستشهاده بقوله تعالى :"**إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فألئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** ".الآية 98ـــ 99سورة النساء.

2/الفتوى الثانية :(تأكيد الفتوى):

لقد كتب الونشريسي هذه الفتوى سنة 901ه /1495م، شأن أحد مسلمي الأندلس فضل ويريد البقاء في بلد إسبانيا لمساعدة مواطنيه على حل مشاكلهم لدى السلطات الإسبانية فهو "يتكلم عنهم مع حكام النصارى فيما يتعرض لهم معهم من نوائب الدهر، ويخاصم عنهم أي في مجمل القول، أنه يقوم بالدفاع عنهم وتأمين حقوقهم، والصهر على تلبية كل حاجياتهم وتوفير الراحة لهم، وذلك من خلال تخليصهم من ورطات عظيمة وغيرها .

---

(1) زروق محمد ، مرجع سابق ،ص 149.

(2)نفسه ،ص 149.

فكان جواب الونشريسي في هذا الأمر الرفض، لأن مساكنة الكفار من غير أهل الذمة والصغار لا تجوز ولا تباح ساعة من نهار،لما تنتجه من أجناس ومفاسد دينية ودنيوية، وأن هذا الأمر له تأثير كبير وذلك من خلال نقص في تأدية الصلاة والزكاة والصيام والجهاد والإخلاص بإعلاء كلمة الله .(1)

فكل هذا يمكن أن يزول بمجرد العيش مع هؤلاء النصارى، خاصة وأن ملوك إسبانيا كانت لهم كامل الرغبة في محو مقومات الشخصية العربية عامة، والقضاء على الدين الإسلامي خاصة لذلك الهجرة من أرض الكفر إلى أرض السلام تعد فريضة إلى يوم القيامة حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو بفتنة(2).

ففي مجمل القول الذي أراد الونشريسي إبلاغه هو على المسلم أن يفر بدينه، ويحافظ عليه مهما كانت الظروف، فعليه بالهجرة وذلك لقوله تعالى:"**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما** "الآية 100سورة النساء، وان الله لا يؤاخذ في ذلك الأمر إلا المستضعفين، أي الذين لا يطيقون أويستطيعون الهجرة، إلىجانب ذلك أن الونشريسي كان جد واضح في فتوته إذ أنه أباح الهجرة، خاصة إن كان الأمر يتعلق بالجانب الديني والعقائدي، وذلك من خلال وجهة نظره التي من خلالها يتخوف من الإنصهار في المجتمع النصراني، وبالتالي ضياع مقومات الدين الإسلامي .

بالإضافة إلى وجوب الهروب للحفاظ على النفس وتأمينها، وذلك ليتمكن صاحبها من تأدية واجباته الدينية والدنيوية على أتم معنى الكلمة .

3/الفتوى الثالثة :لأحمد بن جمعة المغراوي الوهراني(3) .

وجهت هذه الفتوى من مفتي وهران إلى مسلمي غرناطة الذين أجبروا على إعتناق المسيحية، وفيها يقدم إليهم بعض النصائح التي يساعد إتباعها على تطبيق أركان الإسلام خفية .

فلقد تحدث المؤرخ رزوق أن هذه الفتوى في البداية أنها تتكون من مقدمة تشجع فيها الأندلسيين على التثبت بدينهم،" إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، من أجزل الله

---

(1) رزوق محمد، مرجع سابق، ص 150.

(2) جمال قنان ، مرجع سابق ،ص 47.

(3) صدرت هذه الفتوى سنة 1504م من شهر ديسمبر (شهر رجب 910هـ)، أنظر: لوي كارديك، مصدر سابق ،ص 62.

ثوابهم فيما لقوا في ذاتهم وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته وارثوا سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، إن بلغت النفوس التراقي ..."ويدعوهم إلى إلتزام التقية، لأن الإسلام سيسمح لهم بذلك، وأعطاهم حلولا لما يمكن أن يتعرضوا له أثناء ممارستهم لعبادتهم ،"وإن أكرهوهم في وقت الصلاة إلى السجود للأصنام أوحضور صلاتهم فأحرموا بالنية، وأنووا صلاتكم المشروعة، وأشيروا لما يثيرون إليه من صنم ومقصودكم الله ...وإن أجبروكم على شرب الخمر فاشربوه لا بنية إستعماله"(1)، وغيرها من الأمور التي يحرمها ديننا الكريم، فإنهم يقومون بها بالظاهر ولكن في الباطن والخفاء هي إخلاص نيتهم إلى الله وحده تعالى .

إن محتوى هذه الفتوى ذو فائدة مضاعفة، ففي بادئ الأمر هي عبارة عن تذكير لأهم القواعد الإسلامية الأساسية الكبرى للإسلام، وقد جاء فيها أيضا تذكير بوحدانية الله تعالى والإعتراف بمحمد كرسوله، ووجوب إقامة الشعائر الدينية وتنفيذها على أكمل وجه، وكذلك منع المسلمات من التزوج بغير المسلمين(2)،كما يقول المغراوي في أمر الذي بالعودة للإسبان نقصد مساعدة إخوانه والدفاع عنهم [فطوبى للغرباءالذين يصلحون إذا فسد الناس ...](3) .

وفي الأخير من خلال هذه الفتاوي يتضح لنا أن الونشريسي أشار إلى وجوب الهجرة،كما أباح أيضا للمستضعفين البقاء في إسبانيا، مع ضرورة إحتفاظهم بمقوماتهم الشخصية والدينية والدنوية، وذلك بأنه لاحولة ولاقوة لهم إلا بالله العلي العظيم .

أما فيما يخص فتوى المغراوي، فهي بمثابة تكملة لفتوى الونشريسي، إلا أنه أجاز لهم البقاء هناك بشرط تأدية واجباتهم الدينية بسرية تامة أي خفية عن النصارى لأنها تؤدي بهم إلى الهلاك، وذلك من خلال ما قدمه من حلول للمسلمين الباقين هناك، وذلك لأسباب معينة فكل له ظروفه الخاصة مشترطا عليهم المحافظة على مقوماتهم ودينهم، فلقد وضح لهم كل الأمور من خلال الرسالة التي بعث بها إليهم سنة 1504م، فيسر لهم كل الأعمال مع الإخلاص فيها لله وحده، وذلك في صدق نيتهم، حيث إن يكرهوا على شيء يتنافى والدين الإسلامي أن يقوموا به، فيقمون به مع إحرامهم بالنية، وينوون عملهم المشروع مثال على ذلك الصلاة وينووها صلاتهم المشروعة.

المطلب الرابع :تأثير مسلمي الأندلس على الجزائر في مختلف المجالات.

بالرغم من الظروف الصعبة التي واجهت مسلمي الأندلس، في إنتقالهم وإستقرارهم ، بمناطق

---

(1) محمد رزوق، مرجع سابق ،ص 150.

(2) لوي كارديك ، مصدر سابق ،ص 92.

(3) محمد عبد الله عنان ، مرجع سابق ،ص127.

هجرتهم عامة، والجزائر خاصة، إلا أنه كانت لهم تأثيرات كبيرة على جل الميادين في الجزائر، حيث كانوا يمثلون مجتمعا حيا ونشيطا وعاملا إن صح التعبير.

يمكننا القول عنهم بأنهم مجتمعا حضاريا متفوقا بالرغم ما تعرضوا له بعد سقوط غرناطة 1492م، إلا أنهم تمكنوا من مواصلة الحياة بكل متاعبها وبالفعل قد نجحوا في ذلك .

فبعد هجراتهم إلى الجزائر وإستقرارهم بها،كانت هناك إنعكاسات إيجابية على الحياة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وأيضا على القدرات الدفاعية للبلاد، فقد إشتهروا ببراعتهم في كل من الزراعة ،الصناعة والتجارة بكل أنواعها مع باقي الحرف(1)، وهذا ما مكنهم من مجتمعهم الراقي، وترك بصماتهم في كل الأماكن التي تواجدوا بها، فقد تميزت الجالية الأندلسية بالجزائر بكونها أصبحت تشكل عنصرا بشريا له تأثيراته في مختلف مجالات الحياة، وذلك من خلال :

1/التأثيرات الإقتصادية:

أ)الزراعة:

إستفادت الجزائرمن إستقرار الجالية الأندلسية على أراضيها، وذلك لأنها ساهمت وبشكل كبير في تطوير إقتصادها تطويرا ضخما لم تشهده من قبل.

فقد تمكن هؤلاء المهاجرين من إستصلاح مساحات شاسعة من الأراضي بنواحي متيجة ومرتفعات الساحل القريبة من مدينة الجزائر بفضل براعة ومهارة فلاحي بلنسية والأرغون ذوي التقاليد العريقة في ممارسة الفلاحة(2) .

لذلك نجد الجزائر من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها تزخر بمنتوجات متنوعة ومختلفة كل منطقة حسب الظروف الملائمة بها .

حيث أنها تشتهر بزراعات مختلفة كالأشجار المثمرة كحب الملوك، الإجاص، التفاح، البرتقال والعنب .

كما تمكنوا أيضا من إدخال العديد من الوسائل المتطورة لتحديث الزراعة، والحصول على منتوج وافر، عكس ما كانت الجزائر عليه من قبل، وهذا ما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية، وإشتهرت كل منطقة من مناطق الجزائر بمنتوج خاص بها، فمثلا إنتشرت زراعة الزيتون بكثافة

---

(1) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 117.

(2) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق ،ص 21.

بنواحي عنابة "حيث تم غرس 30000 عود زيتون من طرف شيخ الأندلسيين مصطفى قردناش"(1).

كما قام الأندلسيون المستقرون بمدينة الجزائر والبليدة، القليعة و المدية بإدخال التقنيات الزراعية المتطورة إلى هذه المدن، من حيث آلات العمل الفلاحي مما أدى إلى تطويرها، وزيادة منتوجاتها وتحسين أنواعها، ومنها البرتقال ،الرمان، الإجاص، الكرز واللوز وغيرها من الفواكه .

وكذلك بالنسبة لأنواع الخضار المتمثلة في الفلفل والبطاطس، الطماطم، الباذنجان، الجلبان الملفوف والكرنب وغيرها، بالإضافة إلى العديد من أنواع الزهور التي كانت تزرع بغرض تقطيرها مثل الورود(2)

هذا ويعود الفضل إلى الأندلسيين في إدخال زراعة شجرة التوت الأبيض والأسود بنواحي القليعة وشرشال (3)، والأرز والقطن بكل من مستغانم، مليانة، والعناب بإقليم عنابة.

ومما ساعد على ذلك هو حسن التنظيم والتسيير، فقد قاموا بتنظيم محكم ودقيق للمصادر المائية التي تتوفر عليها المنطقة، حيث أقاموا لهذا الغرض في المناطق التي إستقروا بها الأحواض والصهاريج، ومدوا السواقي والقنوات، وهذا ما جعلها تستعمل في ري البساتين(4) .

فقد كان الأندلسيون أبرع أهل الأرض في الزراعة، وغرس الحدائق، وإقامة المنشآت العمرانية كما إقتبسوا الكثير من مواهبهم الحضارية.

ب)الصناعة:

يعد إستقرار الجالية الأندلسية بالجزائرمن أهم المحطات التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة وذلك لما قدمته هذه الجالية من حيوية للنشاط الصناعي بالبلاد من خلال المهن والحرف التي جلبوها معهم .

فلقد تمكن مسلمي الأندلس بعد إستقرارهم بالجزائر "من إقامة المشاغل وإنشاء الورشات لمزاولة مختلف المهن والصناعات كالحدادة والنجارة والخياطة، ومعالجة الخزف والجلد والحرير.

---

(1) إلتجأ إلى عنابة بعدما تعرض لمضايقات حاكم تونس علي باي ،كما أنه قام بإستغلال مردود الأراضي في فداء الأسرى المسلمين الذين وقعوا في أيدي النصارى ،أنظر: ناصر الدين سعيدوني ،مرجع سابق ،ص 21.

(2) مفيدة بن يوسف، مرجع سابق ،ص 118.

(3) ناصر الدين سعيدوني :مرجع سابق ،ص 22.

(4) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 120.

وقد إشتهرت مصانع الحرير الأندلسية بمدن الجزائر والقليعة وبرشك بجودة إنتاجها الذي كان يغطي حاجة المدن الرئيسية، ويصدر جزء منه إلى الأقطار المجاورة بتونس"(1).

كما أظهروا إتقانا كبيرا في بناء المنازل، وصناعة الأسلحة والبارود والأقفال، وتربية دودة القز، ويقال عنهم بأنهم بارعين في صناعة الحديد، الذهب والفضة والنقش على الخشب والبناء، ومن أهم مراكز صنع الأسلحة النارية بالجزائر قلعة بني راشد التي حافظت العائلات الأندلسية والتركية لها على صناعة البنادق الجيدة والمرصعة بالفضة والمرجان، وكذلك مدينة قسنطينة التي كان بها مصنع للبارود بعمل به عشرون عاملا، أما بالنسبة لصناعة السفن فقد أظهر الأندلسيون مهارات عالية في هذا المجال، وتعزيز صفوف البحرية الجزائرية في مطلع القرن 17م، وسخروا كل مالديهم من خبرات وأموال للبناء السفن وتجهيزها، مما ساعد على تزايد نشاط ورشات صناعة السفن في شرشال وبجاية، فتضاعف عددها، وتنوعت أشكالها مع مرور السنين (2).

فصناعة السفن كانت تعتمد على الخشب الذي كان يجلب إلى الجزائر من مدينة بجاية وشرشال وغيرها من الموانئ الصغيرة في شمال إفريقيا حيث يتوفر الخشب(3) .

وفي هذا الصدد يقول **لوي كارديك** [كانوا يصنعون في شرشال على بعد عشرين فرسخا نمن الجزائر العاصمة بعض السفن الشراعية أو فرقاطات من الخشب، ونظرا لكون أصلهم من إسبانيا يعرفون السواحل ويستطيعون إستعمال كثير من الحيل لإنجاح حركتهم (4)فإنهم كانوا . القرصنية...]

فمما ساعدهم في ذلك هو توفر مادة الخشب وجلبها من مدينة بجاية، شرشال وغيرها، وقد ظهرت صناعات أخرى كالصناعة الحريرية في مدينة الجزائر، إضافة إلى صناعة الشبيكة التي يوارثتها المهاجرات الأندلسيات عن أمهاتهن، أما فيما يخص صناعة الشاشية، فإنها كانت موجودة قبل تواجد الأندلسيين بالجزائر، ونهضت بفضل إعتنائهم بها حيث أصبح لها سوق خاص بها عرف بسوق الشواشي، واشتهرت عائلة **القلانسي"بونايتروا** "،بحي باب الواد بالجزائر العاصمة ،(...وقد إختص الأندلسيون بصناعة نوع جيد من الشاشية، وهي من الصوف المعالج والمستورد

---

(1) ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،ص 22.

(2) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 122.

(3) جون بول وولف ، مرجع سابق ،ص 192.

(4) لوي كارديك ، مصدرسابق ،ص 85.

من إسبانيا...)(1)، وإنتشرت كذلك صناعة نسيج الزرابي بالنواحي الغربية من الجزائر التي غلب عليها الطراز الأندلسي إبتداءا من القرن الرابع عشر ميلادي، الذي عرف إنتقال طريقة صناعتها من المرية المركز الرئيسي لصناعة النسيج من مملكة بني نصر إلى هنين وتلمسان، ومن ثم إنتشرت بالجهات الغربية من الجزائر كقلعة بني راشد(2) .

زيادة على ذلك ظهرت صناعة الصابون والمستحضرات العطرية وغيرها، أما صناعة تجفيف الفواكه وتحضير المربى والتقطير، فقد إختصت بها العائلات العريقة من الأندلسيين في مدن تلمسان وقسنطينة والجزائر (3).

وفي الأخير يمكننا القول أنه بفضل توافد الجالية الأندلسية إلى الجزائر، أصبحت هذه الأخيرة تزخر بالعديد من الصناعات والتي تعرف اليوم بالصناعات التقليدية، والتي تساهم بشكل كبير في إقتصاد الجزائر، من خلال عرضها في السوق المحلي أو الدولي.

ج)النشاط التجاري والخدمات الإدارية:

لقد ساهمت الجالية الأندلسية في الجزائر وبشكل كبير في تنشيط التجارة وتولي قطاع الخدمات والإدارة، فمنذ أن وطأوا أرض الجزائر أولوا إهتماما لتحصيل الضرائب، وجمع موارد الخزينة، وتقديم الخدمات الضرورية للإدارة التركية، وتسهيل تعاملها مع السكان(4) .

فقد ذكرت المصادر التاريخية أن وجود هؤلاء بالجزائر قدم مساعدة كبيرة على تنظيم الحكومة، وعلى تقدم الحضارة، وهكذا نشأت ثلاث سلطات إحداها مدنية والثانية قضائية، والثالثة هي سلطة السيادة التنفيذية(5)، و لم يقتصر نشاط الجالية الأندلسية على الأعمال الإدارية، فقط بل تعداه إلى المبادلات التجارية التي التي أصبحت من إحتكارهم نظرا لإستعدادهم ومهارتهم وتكاتفهم وإمتلاكهم رؤوس الأموال التي نقلوها معهم من مواطنهم الأصلية بالأندلس وعملوا على نموها، بعد ذلك بممارسة أعمال القرصنة والنخاسة ومبادلة الأسرى، وبفضل هذا أصبح الأندلسيون يمثلون الطبقة الغنية بالجزائر خاصة بعد تأييدهم للحكم العثماني، ومصاهرتهم للعناصر التركية، ولبعض موظفي الديوان الكبار، زيادة على ذلك أنهم كانوا يدركون كيف يستفيدون من

---

(1) مهدية طيبي ، مرجع سابق ،ص 172.

(2) ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،ص 22.

(3) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 126.

(4) ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ،ص23.

(5) مفيدة بن يوسف ، مرجع سابق ،ص 128.

مهاراتهم، وكفاءاتهم ومعرفتهم بالمعاملات في جل الميادين حق الإدراك، فهذا الأمر مكنهم من وتحقيق مبتغاهم، ومن أثارهم مدينة وهران شهدت نشاطا تجاريا إمتلاك الأراضي، والمنازل، وصناعيا واسعيين لمختلف أنواع التجارة، الحبوب، الخضر، العاج، الأبقار، الأغنام.

ومما يلاحظ أيضا في نطاق النشاط التجاري والخدمات الإدارية أن الجالية الأندلسية قد ساهمت في شيوع النقود الإسبانية بين الأهالي، وجعلها العملة المطلوبة في التعامل مابين حكام الجزائر وباقي الدول الأوروبية أثناء معاملات التجارة(1).

ومن هنا يتضح لنا أن الجالية الأندلسية لم يكن لها تأثير على الجانب الإقتصادي فقط،بل حتى السياسي، وذلك من خلال التسهيلات التي أدخلتها الإدارة وغيرها.

ومن الملاحظ أيضا أن مسلمي الأندلس أثناء تواجدهم في غرناطة، أنهم كانوا مجتمعا ينشط في جميع المجالات،وربما لولا ما وقع لهم لما كانوا بلد جد متطور،وغني بمنتوجاته وثرواته إن صح التعبير.

2/التأثيرات الإجتماعية:

تميزت الجالية الأندلسية بالجزائر بكونها أصبحت تشكل عنصرا بشريا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة، حيث أنها كانت متجانسة مع بقية أفراد المجتمع الجزائري، من حيث المعتقد واللغة والإنتماء، إلا أنها كانت تتميز عن غيرها من طوائف المجتمع بخصائص ومميزات، نلخصها في النقاط التالية :

1)ظل أفراد الطائفة الأندلسية متمسكين بمواطنهم وأصولهم وذلك لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة، وأنهم يطمحون بإسترجاع ما ضاع منهم، والعودة إلى منازلهم القديمة، وكما أنهم كانوا يحرصون على عدم الإختلاط مع غيرهم من السكان هذا ما جعلهم يمتنعون عن الزواج خارج جماعتهم.

2)كان أعضاء الجالية الأندلسية أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي السكان الآخرين بفعل البيئة التي كانوا يعيشونها بالأندلس والظروف التي إضطرتهم إلى مغادرة مواطنهم والتحدي،الذي عرفوه في محنتهم وتشردهم، ولعل هذه الظروف هي التي جعلتهم يتميزون عن غيرهم،بحماسهم الديني وعدائهم المستحكم للنصارى(2)، وهذا ما أثار غضب كثير من رجال الدين الإسبان أمثال

---

(1) مفيدة بن يوسف ، ص 129،130.

(2) نفسه ، ص131.

(1)كاردينال الذي ذهب إلى القول إلى أن "الموريسكيون المنتصرون هم مسلمون حقيقيون ". كإخوانهم بالجزائر

3)أفراد الجالية الأندلسية بالجزائر يشكلون برجوازية المدن الساحلية التي لم تكن موجودة قبل حلولهم بالبلاد، بعدما ركزوا كل نشاطهم على إحتكار بعض الصناعات والمهن وممارسة التجارة، وهدفهم في ذلك هو ليس الوصول للسلطة، وإنما الوصول ورغبتهم في تنمية ثرواتهم وإستغلال أملاكهم وإستثمار مزارعهم(2)، وبالفعل بلغوا مناهم.

4)لقد اتصف أفراد الجالية الأندلسية بالجزائر برقة الذوق في المأكل والملبس والمتاع، بحيث أصبحوا يتميزون بأسلوب معيشتهم الراقي وطريقة تعاملهم المتحضرة ونوعية الفن، ونمط العمارةالتي توارثوها عن أسلافهم بالأندلس، فبالنسبة إلى الحياة الفنية نلاحظ أن الأندلسيين بالجزائر كانوا مولعين بنضم الموشحات والمدائح.

وفي مجال العمارة أدخل الأندلسيون في إستعمال القرميد بدل السطوح التي كانت شائعة قبل حلولهم بالجزائر الغربية وهذا ما ميز المدن التي إستقروا بها، مثل مليانة وتنس وغيرها.

5)تميزت الجالية الأندلسية بلهجتها العربية التي كانت شائعة بغرناطة وحواضر الأندلس الأخرى وقد تأثر بها بها جماعة الحضر بالمدن الكبرى كتلمسان، الجزائر وبجاية نظرا لرقة مخارج حروفها وسهولة التلفظ بها،كما أن الأندلسيين من جهة أخرى عملوا في نطاق الحواضر على شيوع إستعمال مفردات إسبانية، وذلك في مجال لغة الفرانكة التي يغلب عليها الطابع الإسباني وذلك في مجال الأعمال التجارية والعلاقات الخارجية .

6)صاحب الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قدوم جماعات كبيرة من اليهود (تمارس التجارة، المهن اليدوية ...الخ)(3).

وأثرت الجالية الأندلسية أيضا في مجال اللباس، مع الملاحظ أن بعض الألبسة ظلت محتفظة بشكلها العام وتسميتها، وأخرى إختفى إسمها وعوض بإسم محلي لكن مع إحتفاظها بطابعها الأندلسي(4).

---

(1) مفيدة بن يوسف، مرجع سابق، ص 132.

(2) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق،ص 25.

(3) ، مفيدة بن يوسف، مرجع سابق ص 26.

(4) نفسه ، ص 135.

ومما يلاحظ أن التقارب بين اليهود ومسلمي الأندلس ظل قائما مدة طويلة يستمد قوته من الأصول المشتركة والظروف المتشابهة التي عرفوها بالجزائر وعاشوها بالأندلس، والدليل على هذا التقارب أن التجار الأندلسيين كانوا يلتجئون للتعامل مع اليهود ذوي الأصول الإسبانية لتسهيل عمليات التبادل التجاري مع أوروبا(1).

وفي الأخير يمكننا القول أن بصمة مسلمي الأندلس باجزائر لا تزال إلى يومنا هذا، ويظهر هذا جليا من خلال بعض المنازل الموجودة بالجزائر (قرميد، زخارف وغيرها).

3/التأثيرات الثقافية:

لقد كان للجالية الأندلسية بالجزائر تأثير كبير على الحياة الثقافية،كغيرها من المجالات الأخرى، فكان النشاط الثقافي والإشعاع الفكري في كل من المدن التالية بجاية، تلمسان، الجزائر إستمرارا للإسهام الفكري والإنتاج العلمي الأندلسي، وتأتي في مقدمة المدن الجزائرية التي تأثرت بهم بكثرة، بمدينة بجاية بعدما إتخذت عاصمة لملوك الحماديين، أصبحت محط رجال الأندلسيين الذين أصبحوا يشكلون نسبة كبيرة من سكانها، وهذا ما يؤكد توافد عدد ضخم من العلماء عليها، ونذكر منهم على سبيل المثال: أبي بكر بن محرز البلنسي (655ه) وأبي بكربن سيد الناس اليعمري الإشبيلي (659ه)، فقد كانت بيوت هؤلاء أماكن لتجمع العلماء الأندلسيين بها للمذاكرة والمناقشة والنظر في المسائل العلمية، الأدبية واللغوية (2).

من الملاحظ أن الجزائر وبالأخص مدينة بجاية قد إستفادت من العلماء الذين توافدوا عليها لذلك نجدها تزخر بتنوع علومها وكتابتها[3]، واشتهرت بالعديدمن العلماء الذين قاموا بالعلم فيها إن صح التعبير.

لقد إختار العديد من اللاجئين الأندلسيين مهنة التعليم، وجعلوها مصدر رزقهم، ومارسوا التعليم في الكتاتيب (التعليم الإبتدائي)، فقدموا دروسا لمختلف العلوم إلى جانب تحفيظهم القرآن الكريم، والحديث،كما قاموا بنشر خطهم، حتى صارت خطوط أهل إفريقيا كلها على الرسم الأندلسي وأصبح أحسن من خطوط الأندلس(4).

---

(1) مفيدة بن يوسف،مرجع سابق، ص 27 .

(2) نفسه ، ص 193.

(3) أنظر الملحق رقم 06.

(4) مفيدة بن يوسف، مرجع سابق، ص 140.

أما التعليم العالي فقد كان يعطى في المساجد والزوايا ودور العلماء والمجالس المناظرة، وكان يقوم بهكبار العلماء .

لم يقتصر تأثير الأندلسيين على الميدان الأدبي فقط بل تعداه إلى الميدان العلمي، فقد إستفادت الجزائر من إستطان عدد من الأطباء الأندلسيين ببجاية الحفصية مثل **أبو العباس بن أحمد المالقي**(1) (660ه ــ 1262م)، وبهذه المساهمة الأندلسية، بلغت بجاية مكانة مرموقة في مجال الثقافة الإسلامية إلا أنها تراجعت بتراجع التأثير الأندلسي على الحياة الثقافية بها، أما بالنسبة للغرب الجزائري، فقد عرفت عاصمته تلمسان إزدهارا كبيرا نظرا لإستقبالها عدادا كبيرا من مسلمي الأندلس، الذين كان من بينهم خيرة علماء الأندلسيين، ومن بين هؤلاء نذكر عبد الله بن الحداد الوادي آشي(2)، وهناك شخصية أندلسية أخرى هي القاضي الشهير "أبوعبد الله بن الأزرق"(3)، وغيرهم من الشخصيات الأخرى التي قصدت تلمسان، حيث كان لهؤلاء شهرة علمية واسعة، ولبعضهم رحلات في سبيل العلم وإنتاج في فنون شتى وإهتمام برواية الحديث، ومن الشخصيات ذات الأصول الأندلسية، والتي نشأت بتلمسان وأثرت على الحياة الثقافية نذكر منها:أبو عبد الله محمد بن أبي إبراهيم الآبلي الأندلسي(4)(757هـ ــ 1356م)، وأبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي العيشى(5).

وفي الميدان برز إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني، فقد ألف معجما صغيرا في الطب رتبة على حروف المعجم(6).

فقد كان للأندلسيين تأثير كبير على الجزائر، وذلك من خلال إنشائهم المؤسسات الثقافية الأندلسية، وتأثيرهم على الجانب العمراني، ويظهر ذلك من خلال البصمات التي تركوها على

---

(1) كان من العارفين بالطب والمطلعين على العلوم الطبيعية ،قدم إلى بجاية ،وجلس للإفتاء بها وأخذعنه بعض علمائهامثل الغبريني بالأضافة لإلى أبي القاسم محمد بن أحمد الأموي المرسي ،أنظر: نفسه، ص142.

(2) العلامة إبن جابر الوادي آشي بعد ذكره وصف إبن جبير لدمشق مانصه :ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الأنفس للتطلع على صورتها ...،أنظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني :**نفح الطيب،من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق،إحسان عباس ،ج2،دار صادر بيروت 1388هـ ــ 1968م، ص 387..

(3) مفيدة بن يوسف، مرجع سابق ،ص114.

(4) كان من أسرة أندلسية، نشأ بتلمسان وتعلم بها فتوق في الرياضات والعلوم ،أنظر: نفسه ،ص147.

(5) هو من أصل أندلسي حيث خرجت عائلتة من إشبيلية وإستوطنت بتلمسان ،فولد بها ،وأخذ عن علمائها ،أنظر: نفسه،ص147.

(6) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي،من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(16م ــ 20م)**،ج1، الجزائر 1981ص 105،106.

المنازل الجزائرية من زحارف وفن وأسلوب العمارة الراقي الذي توارثوه عن أسلافهم بالأندلس بالإضافة إلى ولعهم بالموسيقى الأندلسية ونظم الموشحات وترديد المدائح.

4/الدور العسكري للأندلسين بالجزائر(في تحصينها والدفاع عنها).

لقد كانت المساهمة الأندلسية في الجيش والإدارة واضحة في المرحلة الأولى من تأسيس الحكم العثماني بالجزائر(1519ـــ 1570م)، وذلك بحكم معرفتهم بإستخدام السلاح الناري(1)، وتحدث في هذا الصدد جون ـــ بول ـــ وولف فقال:"لقد كان عددهم صغيرا، و لم يلعبوا دورا هاما في النظم العسكرية للإيالة، وكان لخير الدين فرقة مسلحة من الأندلسيين تحت تصرفه، وكان هؤلاء اللاجئون من الأندلس متجندين أيضا في جيش سلطان فاس، وهم بخلاف شمال إفريقية كانوا يعرفون إستعمال الأسلحة النارية، بل الواقع أن كثيرا من هؤلاء اللاجئين كانوا صانعي أسلحة، فأنشأوا مصانع لصنع السلاح في الجزائر وغيرها من المدن الإفريقية، ولعل خير الدين قد إستعملهم على أسطوله للقرصنة، بالإضافة إلى حاجاته العسكرية في الجزائر"(2).

كما إستعان الحكام الأتراك بالأندلسيين لحكم المدن التي أخضعوها لأول مرة، مثل المدية التي نصب بها خير الدين حامية مكونة من فرقة تركية وعددمن الفرسان الأندلسيين بعد إنهزام متوليها "**محمد بن العابد**"عام 1517م، وكان عروج يقوم بتجهيز جيشه المؤلف من الأتراك وأهل المدينة ومهاجري الأندلس للتصدي لأي خطر قادم من قبل العدو،كما حدث مع الإسبان عام 1516م، وعام1531م بمدينة شرشال، حيث كان النصر حليفهم والهزيمة للإسبان.

لم تكن المساندة الأندلسية للأتراك في الجزائر منحصرة في العمل العسكري المباشر، بل تعدته إلى مهمات أخرى كالجوسسة على الإسبان في المملكة الإسبانية، فقد إكتشفت خططهم في العديد من المرات، وكانت نتيجتها الفشل، وذلك أن المغاربة كانوا يتهيأون لمواجهتهم، وقد إشتهر عدد من البحارة الأندلسيين الذين عملوا بنشاط في صفوف البحرية الجزائرية في تلك الفترة مثل الريس بلانكيو، والريس أحمد أبو علي الأشبوني وغيرهم(3).

أما بالنسبة للمنشآت العسكرية بالجزائر فقد ساهم الأندلسيون في تشييد أغلب الحصون وقلاع المدن التي إستقروا بها كقلعة شرشال، وبعض حصون مدينة الجزائر كحصن المقام على إحدى الجزر المقابلة للمدينة والذي شيده جماعة من الأندلسيين أواخر القرن15م، واستخدموه منارا

---

(1) مفيدة بن يوسف، مرجع سابق،ص164.

(2) جون ـــ بول ـــوولف، مرجع سابق، ص 109.

(3) مفيدة بن يوسف، مرجع سابق، ص 165.

لإرشاد السفن للمراقبة والإسستكشاف، قبل أن يقيم مكانه القائد الإسباني بيدرو نفارو حصن البينون المعروف ببرج الفنار،كما ينسب للأندلسيين أيضا حصن خارج باب الوادي من طرف الثغريين للدفاع عن مدينة الجزائر،كما أنهم قاموا أيضا بتشييد بطارية تعرف بطبونة الأندلسيين بأعلى المدينة وكانت مجهزة بأربعة عشر مدفعا، فكان لها 17كوة، منها 9تواجه المرسى، و2منها تقابل الناحية الجنوبية، و4أخرى تشرف على مدخل الميناء، و2منها تتحكمان في مدخل المدينة المعروف بباب الجزيرة(1).

ومن هنا يتضح لنا أن جالية مسلمي الأندلس كان لها تأثير ومساهمة كبيرة في الدفاع عن الجزائر ويظهر لنا هذا جليا من خلال ما قاله خير الدين لما عزم على السفر إلى إقليم الروم لأجل الغزو ومواصلة الجهاد حيث جمع أهل الجزائر كلهم وأعيانها "...إني عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وقد أمنت الآن على بلادكم، بما أخلفه عندكم من العسكر المجاهدين، وقد وصل إليكم من أهل الأندلس عدد كثير وعندكم من السلاح والعدة ما تقومون به بأمر الجهاد، وعدوكم الكافر قد نكبه الله..." (2).

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق،ص 20،21.

(2) عبد الله حمادي، مصدر سابق،ص 103.

الخلاصة:

من خلال كل هذا، تمكنا من الوصول إلى العديد من الإستنتاجات حول هجرات مسلمي الأندلس إلى الجزائر، ومدى تأثيراتهم على جل الميادين فيها، فسنلخص ذلك في النقاط التالية :

- إن إنتقال الجالية الأندلسية إلى الجزائر كان عبر فترات ومراحل مختلفة، وكانوا في كل مرة يهاجرون إليها من مختلف الفئات، ومن بين هؤلاء نجد العلماء، التجار والصناع وغيرهم.

- إن هجرة مسلمي الأندلس إلى الجزائر،أو إلى أي بلد آخر لم تكن عشوائية، فقد كانوا ينفون أحيانا من قبل النصارى لرفضهم للتنصر أو شيئ آخر من هذا القبيل، وكانت هجراتهم أيضا مصاحبة بفتاوى العلماء، التي تبين لهم طريقة التعامل والتعايش مع من بقوا معهم في بلدهم الأندلس(النصارى)، أو الذين إضطروا للهجرة إليهم للمحافظة على الهوية الإسلامية.

فنجد ممن برع في ذلك كل من الونشريسي والمغراوي، حيث أن الأول أشار إلى ضرورة الهجرة أما الثاني فقد أجاز البقاء مع ممارسة الشعائر الدينية، والعادات، التقاليد والحياة اليومية على الطريقة الإسلامية والعربية، ويكون ذلك بسرية تامة لأن الأمر يستدعي ذلك، وفي الظاهر يبدون بأنهم نصارى ويقومون بما يؤمرون، وفي حقيقة الأمر يخلصون النية الصادقة لله تعالى.

-بالرغم من أن مسلمي الأندلس كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم في دار هجرة مؤقتة، وينتظرون الفرصة للرجوع إلى وطنهم المفقود، إلا أنهم تمكنوا وبشكل كبير في الـــتأثير على مختلف مجالات الحياة في الجزائرمن خلال مايلي:

1)أنهم تمكنوا من مواصلة تعليم مبادئ الإسلام واللغة العربية بسرية، حيث كان أرباب الأسر يقومون بهذه المهمة ، ويحرصون عليها أشد الحرص، وذلك من خلال إنتشار المدارس في بيوت سرية وبعيدة في الحقول لتعليم أبنائهم .

لذلك نجد من آثرهم العديد من المؤلفين والمؤلفات التي تركت بصمتها أينما تواجدوا، مثلما كان الحال بالجزائر عامة، بجاية وتلمسان خاصة، وذلك بتوافد العديد من العلماء إليها، فقد برعوا في مختلف الميادين،وهذا ما جعلهم يحضون بمكانة مرموقة في المجتمع.

2)كما لا ننسى دورهم الفعال في مجال الصناعة والزراعة اللتان عرفتا تطورا ملحوظا ومحسوسا، وهذا من خلال الصناعات التي نشطت إقتصاد الجزائر.

أما فيما يخص الزراعة من خلال وفرتها وتنوع محاصيلها، حيث إشتهرت كل ولاية بمنتوج خاص بها، أما بالنسبة لهم هذا ما زاد من رقيهم ونفوذهم حيث أصبح أفراد هذه الجالية يشكلون

فئة إجتماعية صاحبة إمكانيات إقتصادية، وذات نفوذ، يمكنها أن تفرض نوعا من النفوذ على باقي الفئات ذات الإمكانات المحدودة، وهذا ما أثار مواجهة بينهم .

-لقد رسم الموريسكيون لأنفسهم نمطا خاص ومعين من الحياة، طبيعته الخفية والتستر في كل الأمور (اللباس،الصلاة ،التعليم، وحتى الأكل والإستحمام)، وغيرها من العادات في الإسلام .

-من خلال الظروف الصعبة التي أصبحت عليها الأندلس بعد سقوط غرناطة هي أن مسلموا الأندلس أصبحوا يعيشون حياة التستر والكتمان بصفة عادية وطبيعية.

-لقد كان لهم أدوارا سياسية مختلفة خلال القرنيين (16 ــ 17م)، حيث أنهم تولوا مناصب المستشارين، السفراء وغيرها.

-كان لهم دور كبير في الدفاع عن الجزائر، وذلك من خلال إنشائهم الحاميات، القلاع والحصون كحصن البنيون، إلى جانب ذلك إقبالهم على الجهاد، وذلك لأنهم فقدوا بلدهم بسبب عدم إهتمامهم بالجهاد، وهذا ما دفعهم إليه وبالأحرى الإنتقام من المسيحيين.

خـــــــــاتمة

الخاتمة:

وهكذا ينتهي بنا المطاف لإختتام هذه الدراسة العلمية، التي تتبعنا من خلالها طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية ومسلمي الأندلس، والوضعية الأليمة التي كان يعيشها هؤلاء خاصة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، فمن خلال هذا تعرفنا على مأساة مسلمي الأندلس، وكان ذلك بإطلاعنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع، إذن ماهي أهم النتائج التي يمكن أن نستخلصها من كل هذا؟

-أولا: إن نهاية الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، خاصة بعد سقوط غرناطة عام 1492م، كان هذا بمثابة نقطة تحول في التاريخ الإسلامي بصفة عامة والتاريخ الأندلسي بصفة خاصة، في تلك الفترة بدأ الحكم الإسباني، حيث كانت لإسبانيا تعتبرمن القوى الكبرى في العالم، في حين ظهرت أخرى تضاهيها ألا وهي الدولة العثمانية، وذلك بعدما نقض الحكم الإسباني كل الوعود خاصة في عهد الملكين الكاثوليكيين "فرديناند وزوجه إيزابيلا" الذان كان مبتغاهما هو القضاء الكلي على المسلمين المتواجدين بالأندلس، وتطهير الأراضي الإسبانية من المسلمين وإخراجهم من تحت الراية النصرانية، كما حاولوا أيضا جاهدين محو كل مقوماتهم الشخصية، وكان ذلك باتخاذهم قوانين وإجراءات سياسية وقمعية في حق هؤلاء المضطهدين، ونخص بالذكر محاكم التفتيش التي أقيمت في كل أرجاء البلاد، وذلك من أجل بلوغ غايتهم، حيث كان من خلالها يتعرض مسلمي الأندلس للتعذيب بأبشع الطرق والوسائل، والشيئ الملفت للإنتباه هو أنهم كانوا يقومون بحرق كل من إكتشف أمره (متمسك بدينه وعاداته) أمام الملأ، ويكون أحيانا بحضور الحكام، ومن بينهم نذكر الملك فرديناند .

-ثانيا: من خلال هذه السياسة الإضطهادية والمجحفة في حق مسلمي الأندلس، صدر عنها عدة ردود أفعال، من بينها قام الأندلسيون بعدة ثورات وإنتفاضات، وذلك من أجل إسترجاع وطنهم وكرامتهم المسلوبة، وبالرغم من إمكانيتهم البسشيطة إلا أنهم لم يستسلموا بسهولة وظلوا صامدين لسنوات عديدة، ويعود سبب فشل هذه الثورات هو إنشغال الدول الإسلامية عنهم وبالأخص الدولة العثمانية، هذا الشيئ الذي دفع بالإسبان إلى إخماد هذه الثورات سنة 1571م، وكانت النتائج المترتبة على ذلك هو إعلان قرار الطرد النهائي الذي أصدره الملك فيليب الثالث عام 1609م، وهكذا كانت الأحداث والعمليات مستمرة في حقهم، هذا ما أدى بهم إلى طلب النجدة والإستغاثة من طرف إخوانهم في الدولة العثمانية.

بالرغم من كل الإضطرابات والمشاكل التي كانت تواجه الدولة العثمانية إلا أنهم لم يتوانو في إستغاثة إخوانهم المسلمين ببلاد الأندلس حيث كان هؤلاء يتتبعون نشاط الأتراك في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وكان آمالهم وثقتهم كبيرة في السلاطين العثمانيين، حيث بعثوا أول رسالة إلى السلطان بايزيد الثاني، إلا أن هذا الأخير كانت تواجهه مشاكل داخلية وخارجية ومن بينها مشكلة الأمير جم، وأيضا إنشغاله في حروبه مع الدول الأوروبية، هذا الشيئ الذي عرقل سبيل الدولة العثمانية في تقديم يد العون لهم، لكن السلطان بايزيد الثاني قدم لهم كل ما باستطاعته، واستمر مسلمي الأندلس في طلب النجدة حيث تكررت رسائلهم خاصة في عهد السلطان سليمان القانوني، بحيث وصفوا له حالهم المأساوي، كما لا ننس الدور الفعال الذي لعبته المؤسسة الإنكشارية في عهده، وايضا أدوار كل من الصالح ريس والقلج علي والبيلرباي في تلك الفترة، حيث سعت الدولة العثمانية جاهدة لطرد الإسبان من سواحل شمال لإفريقيا ومنع الزحف الصليبي.

من خلال كل ما تعرض له مسلمي الأندلس من قبل هؤلاء النصارى من قمع ولإضطهاد فكان الحل الأمثل والمناسب لهم الهجرة، فكانت الوجهة إلى بلاد المغرب العربي بصفة عامة وإلى الجزائر بصفة خاصة، حيث أثرت الجالية الأندلسية على الجزائر بشكل كبير في مختلف المجالات، ويعود سبب ذلك إلى إلى إستقبال الجزائر لأعداد هائلة من المهاجرين الأندلسيين، فكان من بين هؤلاء علماء، أطباء، أدباء وغيرهم، وكانت مناطق إستقرارهم متمركزة على السواحل مثل بجاية، وهران وتنس...الخ.

ومن الملاحظ هنا كانت لهم تأثيرات بارزة في المجال الإجتماعي، كما كان لهم الفضل في إزدهار الميدان الإقتصادي، كما لا ننس دورهم في الميدان الصناعي حيث أنقضوها من الإندثار وقاموا بإحيائها من جديد، كما كان لهم دور بارز في تنشيط البحرية الجزائرية، وذلك من خلال بناء الأسطول الجزائري، وغيرها من الميادين الذين تركوا بصمتهم فيها.

بالرغم من الإنجازات المحققة من هؤلاء المهاجرين إلا أنهم لم يستطيعوا فرض وجودهم، لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم في دار الهجرة المؤقتة وينتظرون الفرصة السانحة للعودة إلى وطنهم المفقود.

وفي الأخير يمكننا القول بان النهاية المأساوية للأمة الأندلسية قل ما نجد لها نظيرا في التاريخ، فالدارس لعلم التاريخ وبالأخص التاريخ الأندلسي، يجد نفسه وهو يتصفح يوميات المسلمين الذينهم تحت سلطة الحكم الإسباني عنوة، فكانت ثنائية التحدي قائمة بين طرفين افسباني والمسلم،

فالإسبان كانوا ممثلين في شخص الملكين فرديناند وإيزابيلا يسعون جاهدين إلى تنصير المسلمين بكل الطرق والأساليب ضاربين عرض الحائط كل القيم والمبادئ الإنسانية، في حين كان المسلمون يدافعون باستماتة لا نظير لها من أجل المحافظة على دينهم وأرواحهم وسط بيئة مخالفة لهم.

قائمة الملاحق

ملحق رقم01: صورة لفيرديناند وإيزابيلا عام 874ه ــ 1470م



المصدر :طارق سويداني:**الأندلس التاريخ المصور**،ط1،الكويت 1426ه ــ 2005م،ص 451.

ملحق رقم 02: نص معاهدة غرناطة العلنية :

المادة الأولى:

على ملك غرناطة والقادة والفقهاء والحجاب والعلماء والمفتين والوجهاء بمدينة غرناطة والبيازين وضواحيها أن يسلموا إلى صاحبي السمو،أومن ينتدبانه للنيابة عنهما في مدة أقصاها ستون يوما،اعتبارامن 25تشرين عام 1491م معاقل الحمراء،والبيازين وأبواب المدينة المذكورة والبيازين وضواحيها،وضمن هذه الشروط يأمر صاحبا السمو بأن لايصعد أي نصراني السور القائم بين الحمراء والبيازين،لئلا يكشف عورات المسلمين في بيوتهم،وإن خالف أحد هذه الأوامر يعاقب عقوبة شديدة وضمن هذا الشرط سيقدم المسلمون الطاعة والإخلاص والولاء كأتباع مخلصين لصاحب السمو .

وضمانا لسلامة تنفيذ هذه البنود،يقدم أبو عبد الله الصغير ملك غرناطة إلى صاحبي السمو خمسمائة شخص من أبناء وبنات علية القوم،في المدينة والبيازين وضواحيها،وذلك قبيل تسليم الحمراء بيوم واحد مصطحبين معهم الحجاب يوسف بن قماشة ،ليكونوا جميعهم رهائن لدى صاحب السمو ،لمدة عشرة أيام يتم خلالها ترميم المعاقل المذكورة ،شريطة أن يعامل الرهائن في هذه الفترة معاملة حسنة ،وفي نهاية الأجل المحدد يرد الرهائن إلى ملك غرناطة ،ويراعي هذه الإتفاقية صاحبا السمو وأبنهما دون خوان وسلالتهم ،ويعتبر أبو عبد الله الصغير وسائر قادته وجميع سكان غرناطة والبيازين وضواحيها وقراها وأراضيها ،والقرى والأماكن التابعة للبشرات رعايا طبيعيين ،ويبقون تحت رعايتهم ودفاعهم ،وتترك لهم جميع بيوتهم وأراضيهم وعقارهم وأملاكهم حاليا ودائما دون أن يلحق بها أي ضرر أوحيف،أن لا يؤخذ أي شيئ مما يخصهم،بل بالعكس،سيتم إحترام الجميع ومساعدتهم ويلقون المعاملة الطيبة من قبل صاحبي السمو وشعبها كخدم وأتباع لهما.

المادة الثانية:

في الوقت الذي يستلم صاحبا السمو قصر الحمراء،يأمران أتباعهما بالدخول من باب العشار ونجدة ،ومن الحقل القائم خارج المدينة وعلى من يعين لاستلام الحمراء ان لا يدخل من وسط المدينة .

المادة الثالثة :

في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء والبيازين ،وشوارعهما وقلاعهما ةأبوابهما وغير ذلك ، يقوم صاحبا السمو بتسليم ابن الملك أبي عبد الله الصغير ،المحتجز في قلعة موكلين، مع سائر الرهائن الموجودين معه وسائر الحشم والخدم الذين كانوا بر فقته، ولا يكرهون على التنصير أثناء إحتجازهم .

المادة الرابعة:

يسمح صاحبا السمو وسلالتهماللملك أبي عبد الله الصغير وشعبه أن يعيشوا دائما ضمن قانونهم—أي بممارسة الشعائر الإسلامية دون المساس بسكانهم وجوامعهم وأبراجهم ،وسيأمرون بالحفاظ على مواردهم ،وسيحاكمون بموجب قوانينهم وقضاتهم، حسبما جرت عليه العادة وسيكونون موضع الإحترام من قبل النصارى ،كما تحترم عاداتهم وتقاليدهم إلى غير حين .

المادة الخامسة :

لن تصادر من المسلمين أسلحتهم أو خيولهم أو أي شيئ آخر،حاضرا وإلى الأبد، باستثناء الذخيرة الحربية التي يجب تسليمها لصاحبي السمو.

المادة السادسة :

يسمح لمن يرغب في الجواز إلى العدوة أو أي مكان آخر،من أهالي غرناطة والبيازين والبشرات والمناطق الأخرى،التابعة لمملكة غرناطة ببيع ممتلكاتهم وأراضيهم لمن شاءوا،ولن يحاول صاحبا السمو وذريتهما منعهم من ذلك أبدا ،وإذا رغب صاحبا السمو بشرائها من أموالهم الخاصة،فشأنهما في ذلك شأن سائر الناس،ولكن الأولوية تكون لهما .

المادة السابعة :

الأشخاص الذين يرغبون في العبور إلى العودة تجهز عملية نقلهم في غضون ستين يوما من تاريخهن،على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم ،حسب رغبة المبحرين ليحملوا أحرارا وطوع أرادتهم إلى المكان الذي يرغبون النزول إليه فيما وراء البحر-أرض المغرب- خاصة الموانئ التي كانت ترسو بها تلك السفن .

أما الأشخاص الذين يرغبون في العبور في غضون الأعوام الثلاثة القادمة فتهيأ لهم السفن الخاصة من الموانئ القريبة لمكان إقامتهم ،شريطة أن يقدموا طلباتهم قبل موعد الرحيل بخمسين يوما ،وينقلون برعاية تامة إلى الميناء الذي يرغبون بالنزول فيه،ولايترتب على من يريد العبور إلى العودة خلال الأعوام الثلاثة هذه أجر أو نفقة ،أما الذين يرغبون في العبور بعد إنتهاء الأعوام

الثلاثة،فعليهم دفع دوبلة واحدة فقط عن كل شخص ،أما الذين لا يتمكنون من بيع أملاكهم الموزعة في جميع أنحاء مملكة غرناطة قبل سفرهم ،فيحق لهم تفويض أي شخص من أجل تحصيل حقوقهم ،وليقوموا مقامهم ،ويتولو بعد ذلك إرسال هذه الحقوق لأصحابها أينما كانوا وبدون أية عوائق .

المادة الثامنة :

لايرغم صاحبا السمو وسلالتها حاضرا وإلى الأبد المسلمين وأعقابهم على وضع أية شارة مميزة لملابسهم .

المادة التاسعة :

لا يحق لصاحبي السمو لمدة ثلاث سنوات من تاريخه تحصيل الإيتاوات من الملك أبي عبد الله الصغير وسكان غرناطة والبيازين وأرباضهما،وهي الإتاوات التي يترتب أداؤها عن دورهم وأملاكهم الموروثة ،بل يكفي أن يدفع المسلمون لصاحبي السمو،عشر الخبز والذرة،وعشر المواشي خلال شهري نيسان ومارس.

المادة العاشرة:

على الملك عبد الله وسائر سكان المملكة الذين شملهم الإتفاقية أن يطلقوا صراح جميع الأسرى النصارى ،الذين في قبضتهم أوفي أي مكان آخر طواعية ودون أية فدية ،وذلك حين تسلم المدينة .

المادة الحادية عشر:

على صاحبي السمو أن لا يستخدما أي رجل من أتباع أبي عبد الله أوسكان المملكة ،أو أن يسخرا دوابهم في أي غرض دون أن تدفع لهم أجورهم .

المادة الثانية عشرة :

لايسمح لأي نصراني بدخول المساجد،أو أي مكان لعبادة المسلمين دون إذن من الفقهاء ومن يخالف ذلك يعاقبه صاحبا السمو .

المادة الثالثة عشر:

لا يجوز لأي يهودي أن يتولى الجباية أو تحصيل الضرائب من المسلمين بشكل مباشر،أو أن يمنح أية سلطة أو ولاية عليهم .

المادة الرابعة عشرة:

يعامل صاحبا السمو الملك أبا عبد الله الصغير وسائر رعاياه الذين شملتهم هذه المعاملة معاملة شريفة، وتحترم عاداتهم وتقاليدهم،وتمنح للقادة والفقهاء الحقوق،وتبقى الحقوق التي كان يتمتع بها هؤلاء زمن أبي عبد الله الصغير على حالها ،ويعترف لهم بتلك الحقوق.

المادة الخامسة عشرة :

يجب أن يقضي في أية دعوى أو مشكلة تقع بين المسلمين القضاة وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية ،كما جرت العادة.

المادة السادسة عشرة:

يصدر صاحبا السمو أوامرهما للمسلمين بعدم إيواء الضيوف من النصارى ،أو إخراج الثياب أو الدواجن أو الدواب ،ويشمل ذلك صاحبي السمو وجماعتهما، إذ يمنع على هؤلاء النصارى دخول بيوت المسلمين ،وإستعمال مضايفهم لإقامة الحفلات .

المادة السابعة عشرة:

إذ دخل نصراني مترل مسلم قسرا يطلب صاحبا السمو من العدالة إيقاع العقوبة عليه.

المادة الثامنة عشرة:

فيما يتعلق بقضايا التركات عند المسلمين يجب أن ينظر بها القضاة المسلمون ،وفق النظم الإسلامية.

المادة التاسعة عشرة:

تشمل هذه المعاهدة قاطني الأحياء المجاورة لمدينة غرناطة، وسكان القرى والأحياء المجاورة للمدينة و البشرات وأماكن أخرى ،بما في ذلك الأشخاص الذين قد يقبلون المعاهدة بعد مرور ثلاثين يوما من تسليم غرناطة،ويتمتع هؤلاء بجميع الإعفاءات الممنوحة خلال السنوات الثلاثة.

المادة العشرون :

يتولى الفقهاء إدارة إيراد الجوامع والحلقات الدراسية فيها، ما يرصد من أجل الصدقة أو عمل خير ،بما في ذلك إيرادات المدارس التي تنفق في تعليم الصبيان ،لا يحق لصاحبي السمو التدخل بأي حال من الأحوال في شأن الصدقات ،أو الأمر بمصادرتها في أي وقت في الحضر أو فيما بعد .

المادة الحادية والعشرون:

لا يجوز لمن يتولى القضاء إصدار قرارات ضد أي مسلم بذنب إقترفه آخر،فلا يؤخذ الأب بذنب إبنه ،ولا الولد بذنب والده، ولا أخ بذنب أخيه ،ولا القريب بذنب قرابته ، بل تقع العقوبة على منت يقترف الجرم.

المادة الثانية والعشرون:

يقرر صاحبا السمو العفو عن المسلمين من أتباع القائد حميد أبي علي الذين كانوا يذودون عن حصونهم ضد هجمات النصارى ولا يطلب أي تعوض عمن قتل من النصارى أثناء إصطدامهم مع المدافعين من المسلمين ،أو عما أخذه المسلمون من المكاسب في ذلك المكان في الحاضر أو فيما بعد

المادة الثالثة والعشرون :

يغفر صاحبا السمو لمسلمي مدينة الكابطي هجماتهم واعتداءاتهم التي كانت تستهدف حرس الملكين ،وتمنح لهم حرية العيش كبقية إخوانهم الذين شملتهم هذه المعاهدة .

المادة الرابعة والعشرون :

يعتبر صاحبا السمو جميع أسرى المسلمين أو الفارين من الأسر إلى مدينة غرناطة والبيازين وأرباضهما ،أو إلى أي ناحية تابعة للمدينة غرناطة أحرارا ،ولا تصدر العدالة بحقهم أي حكم كان ،لكن الإمتياز خاص بمسلمي الأندلس ولا يشمل أسرى الجزر أوكناريس.

المادة الخامسة والعشرون :

لا يدفع المسلمون لصاحبي السمو أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم المسلمين من الإيتاوات .

المادة السادسة والعشرون :

يسمح لجميع من عبروا العدوة من سكان غرناطة ،والأرجاء التابعة لها،والبيازين وأرباضهما والبشرات وغيرها ،بالعودة خلال ثلاثة أعوام من تاريخ الإتفاقيات والتمتع بالإمتيازات التي تمنحها لهم هذه الإتفاقية .

المادة السابعة والعشرون:

لا يجبر أي مسلم حمل معه بعض الأسرى النصارى إلى العدوة،وجعلهم في قبضة سلطة أخرى،على إرجاع هؤلاء الأسرى،أو إعادة الأجر الذي تقاضاه لقاء تسليمه.

المادة الثامنة والعشرون :

يحق للملك أبي عبد الله أو أي من قواده،أو سكان القرى و الأرجاء المجاورة لغرناطة والبيازين والبشرات وغيرها،ممن عبروا إلى العدوة ولم تطب لهم الإقامة هناك،أن يعودوا خلال الأعوام الثلاثة ولهم الحق بأن يتمتعوا بكافة نصوص الإتفاقية المبرمة.

المادة التاسعة والعشرون:

يحق لتجار مدينة غرناطة والبيازين وأرباضهما،والبشرات وغيرها أن يحملوا سلعهم إلى المغرب ويعودا بها آمنيين مطمئنين، كما يحق لهم دخول سائر الأرجاء التي في حوزة الملكين الكاثوليكيين،دون أن تترتب عليهم أية إتاوة مترتبة على النصارى.

المادة الثلاثون:

لا يجوز إرغام أية نصرانية تزوجت من أحد المسلمين واعتنقت الدين الإسلامي على العودة إلى النصرانية إلا طائعة،وبعد أن تسأل في ذلك أمام جمع من المسلمين والنصارى،وفيما يتعلق بأبناء الروميات وبناتهن فلهم نفس الحقوق المنصوص إليها في هذه الفقرة.

المادة الحادية والثلاثون:

إذا سبق لأي نصراني ذكرا كان أو أنثى إعتناق الإسلام قبل إبرام هذه الإتفاقية فلا يحق لأي أحد من النصارى أن يهدده،أو ينال منه بأي صورة،ومن يفعل ذلك يلق إثما.

المادة الثانية وثلاثون:

لا يجوز إرغام مسلم أو مسلمة على إعتناق النصرانية.

المادة الثالثة والثلاثون:

إذارغبة رغبة إمراة متزوجة أو أرملة أو بكر في إعتناق النصرانية بدافع العشق فلا يستجاب لها،حتى تسأل وتوعظ وفقا للشريعة الإسلامية،وإذا حملت معها خفية بعض الحلي أو غيرها من دار والدها أو أقاربها أو أي شخص كان فيجب إعادة هذه الأشياء إلى ذويها وتعتبر إختلاسا وتتولى العدالة إتخاذ الإجراءات الصارمة .

المادة الرابعة والثلاثون:

أن لا يرغبا صاحبا السموأو أي واحد من عقبهما حاضرا أو مستقبلا أبا عبد الله الصغير،أو جماعته أو حاشيته أو جماعته أو حاشيته،أو أي أحد من سكان المملكة أوخارجها مسلمين ونصارى ومدجنين برد ما غنموه أثناء الوقائع التي جرت بينهم،من الثياب والمواشي والأغنام

والفضة والذهب وغيرها من الأشياء التي وضع المسلمون أيديهم عليها،ولا يحق لأحد أن يطالب به فإنه يعرض نفسه لأقصى العقوبات .

المادة الخامسة والثلاثون :

إذا سبق مسلم أن هان أسيرا نصرانيا ذكرا أو أنثى أو جرحه أو قتله أثناء إحتفاظه به، فلا يسأل عن شيء مما كان .

المادة السادسة والثلاثون :

بعد إنتهاء السنوات الثلاث المنصوص عليها في الإتفاقية تدفع ضريبة الأملاك والضياع الأميرية وفقا لقيمتها الحقيقية شأن سائر الأملاك والأراضي.

المادة السابعة وثلاثون:

تعامل أملاك الفرسان والقادة المسلمين المعاملة المنصوص عليها في البند السابق فلا يدفع عنها أكثر مما يدفع عن الأملاك العادية.

المادة الثامنة والثلاثون :

وتشمل هذه الإتفاقية أيضا اليهود من مواليد مدينة غرناطة والبيازين وأرباضهما والأراضي التابعة لهما، واليهود الذين كانوا من قبل النصارى،ويسمح لهؤلاء اليهود بالعبور إلى العدوة خلال شهر من تاريخه .

المادة التاسعة والثلاثون:

أن يعامل الحكام والقواد والقضاة الذين يعينهم صاحبا السمو على مدينة غرناطة والبيازين والكور التابعةلهما الناس بالحسنى،وأن يحافظوا على إمتيازاتهم الممنوحة لهم في العادة،وإذا أخل أحدهم بذلك ،أوارتكب خطيئة يصدر صاحبا السمو أوامرهما بمعاقبته على قدر جرمه وعزله من منصبه وتوليت غيره،من يحسنون معاملة المسلمين كما نصت عليه الإتفاقية .

المادة الأربعون :

لا يحق لصاحبي السمو أو أي من أبنائها وأحفادهما منذ الآن التعقب على شيء ارتكبه الملك أو عبد الله الصغير، أو أحد من رعاياه،إلى حين تسليم الحمراء أي بعد مرور ستين يوما من توقيع الإتفاقية .

المادة الحادية والأربعون:

أن يتولى على جماعة أبي عبد الله الصغير واحد من الفرسان أو القادة أو الخاصة الذين كانوا موالين لمولاي أبي عبد الله الزغل ملك وادي آش،عم أبي عبد الله الصغير الذي كانت بينه وبين أبي عبد الله عداوة قديمة.

المادة الثانية والأربعون:

يتولى النظر في الخصومات التي قد تقع بين مسلم ونصراني،أو مسلمة ونصرانية مجلس مؤلف من حكمين :أحدهما مسلم والآخر مسيحي تحاشيا للتظلم من الأحكام القضائية.

المادة الثلاثة والأربعون:

وبالإضافة إلى جميع ما نصت عليه الإتفاقية،يأمر صاحبا السمو بمنح أبي عبد الله الصغير كل الإمتيازات المنصوص عليها في الإتفاقيات الموثقة بخاتم الأميرنجل صاحبي السمو والموقعة من قبل كاردينال إسبانيا والكهان والأساقفة ورؤساء الأديرة والشرفاء والدوقات والمركزيات والكونتات وأصحاب المراتب الجليلة وكتاب العدلية في مدينة غرناطة،اعتبارامن يوم تسليم الحمراء والبيازين وأبوابهما وأبراجهما ،وتعتبر جميع محتويات هذه الإتفاقية نافذة وسارية المفعول في الحاضر وفيما بعد.

المادة الرابعة والأربعون :

يصدر صاحبا السمو أوامرهما بالإفراج عن أسرى المسلمين،ذكورا وإناثا،من أهالي غرناطة والبيازين وأرباضهما والكور التابعة للمملكة،إفراجا غير مشروط بنفقة أو فدية أو غيرها،وذلك إرضاء الملك أبي عبد الله الصغير وأهالي غرناطة وأرباضهما وضياعهما كافة،ويتم الإفراج عن هؤلاء الأسرى على النحو التالي:

يفرج عن جميع أسرى مدينة غرناطة مدينة غرناطة والبيازين أرباضهما وضياعهما الموجودين في الأندلس خلال الأشهر الخمسة التي تعقب إبرام المعاهدة،ويفرج عن الأسرى الموجودين في قشتالة خلال الأشهر الثمانية التالية،وبعد انقضاء يومين من تسليم أسرى النصارى لصاحبي السمو،يتسلم المسلمون مائتي أسير مسلم، مائة من الرهائن،والمائة الثانية من غير الرهائن المائة.

المادة الخامسة والأربعون:

يصدر صاحبا السمو أوامرهما بإخلاء سبيل (إبن الدرامي) الأسر عند(غونثالو فرناندث)،و(عثمان) أسير (الكونت تنديا)،وابن رضوان أسير الكونت (قبرة)،وإعادة ابن الفقيه

محي الدين وخمسة أشخاص من خاصة إبراهيم بن السراج الذين فقدوا وعرف مكان وجودهم وذلك في الوقت الذي يسلم فيه صاحبا السمو أسرى مدينة الحمراء والبيازين المائة والرهائن المائة.

المادة السادسة والأربعون :

إذا خضعت أية ناحية من نواحي البشرات لسلطة صاحبي السمو فإنه يتأتى على المسلمين تسليم جميع الأسرى النصارى الموجودين لديهم،في مدة أقصاها خمسة عشر يوما من تاريخ الإنضمام،دون أن يؤدي سموهما أي شيء مقابل ذلك التسليم،كما يجب على هذه النواحي تسليم اية رهينة من النصارى لديهم خلال المدة,ويقوم صاحبا السمو في مقابل ذلك بإعادة جميع اسرى المسلمين المحتجزين لدى الاسبان.

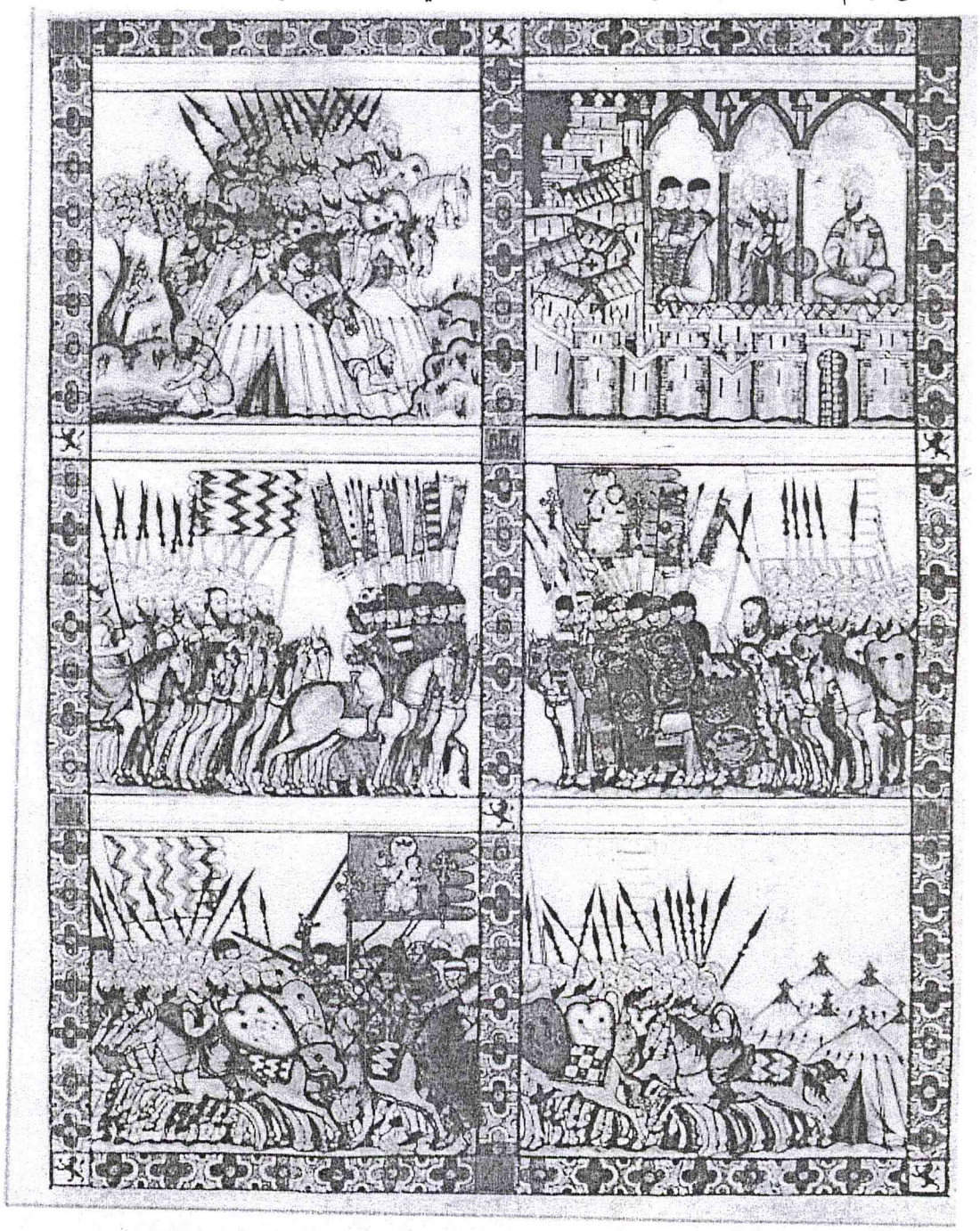
المادة السابعة والاربعون:

يتعهد صاحب السمو لجميع السفن التي تاتي من المغرب,وترسو في موانئ غرناطة,بحرية التنقل ذهابا وايابا,وهي آمنة شريطة ان لاتقوم بنقل الاسرى من النصارى,ويصدر صاحبا السمو اوامرهما للنصارى بعدم إعتراض السفن او الضررها وباهلها او بمصادرة شيئ منها ....وفي حالة مخالفة إحدى السفن لهذه التعليمات بنقل الاسرى,فإن حقها في الحماية يصبح لاغيا,ويحق لسموهما إرسال مفتش او مفتشين يتوليان مهمة تفتيش السفن التي تعبر إلى المغرب,للتحقق من نفاذ هذه العمليات. [1]

---

[1] جمال يحياوي: مرجع سابق، ص، 233،248..

الملحق رقم 03:صورة تمثل قتال المسلمين في الأندلس مع النصارى (من الكتب الغربية



صورة تمثل قتال المسلمين في الأندلس مع النصارى (من الكتب الغربية)

طارق سويداني، مرجع سابق،ص، 226.

الملحق رقم 04:إحراق أحد المسلمين من الذين بقوا في محاكم التفتيش لمجرد إمتلاكه نسخة من القرآن الكريم.



طارق سويداني: المرجع السابق، ص501.

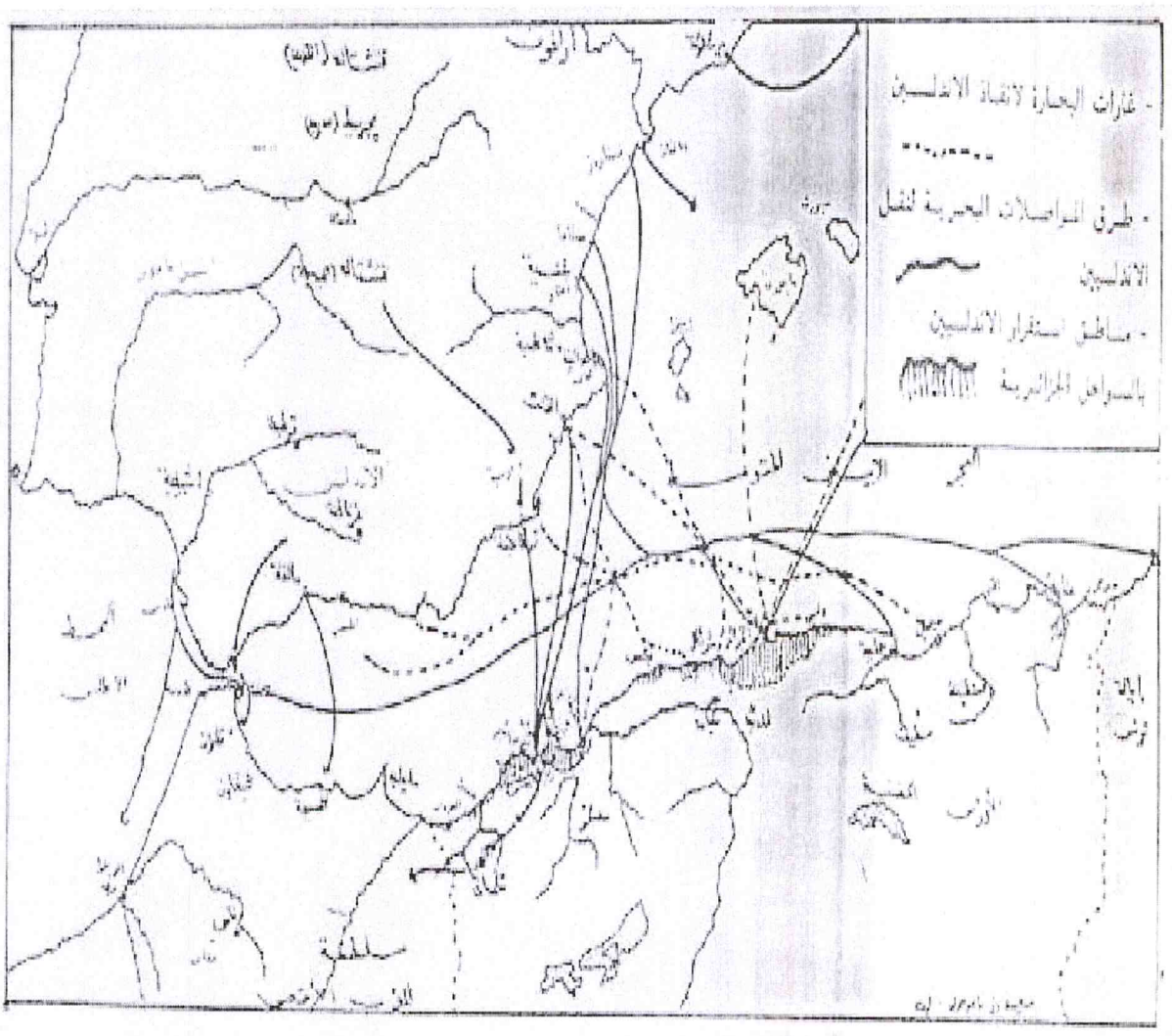
الملحق رقم 05:رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني



الشكل رقم 5 : رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان
سليمان القانوني سنة 1541 .
ارشيف متحف طوبي كابي رقم T. K. A. 3154

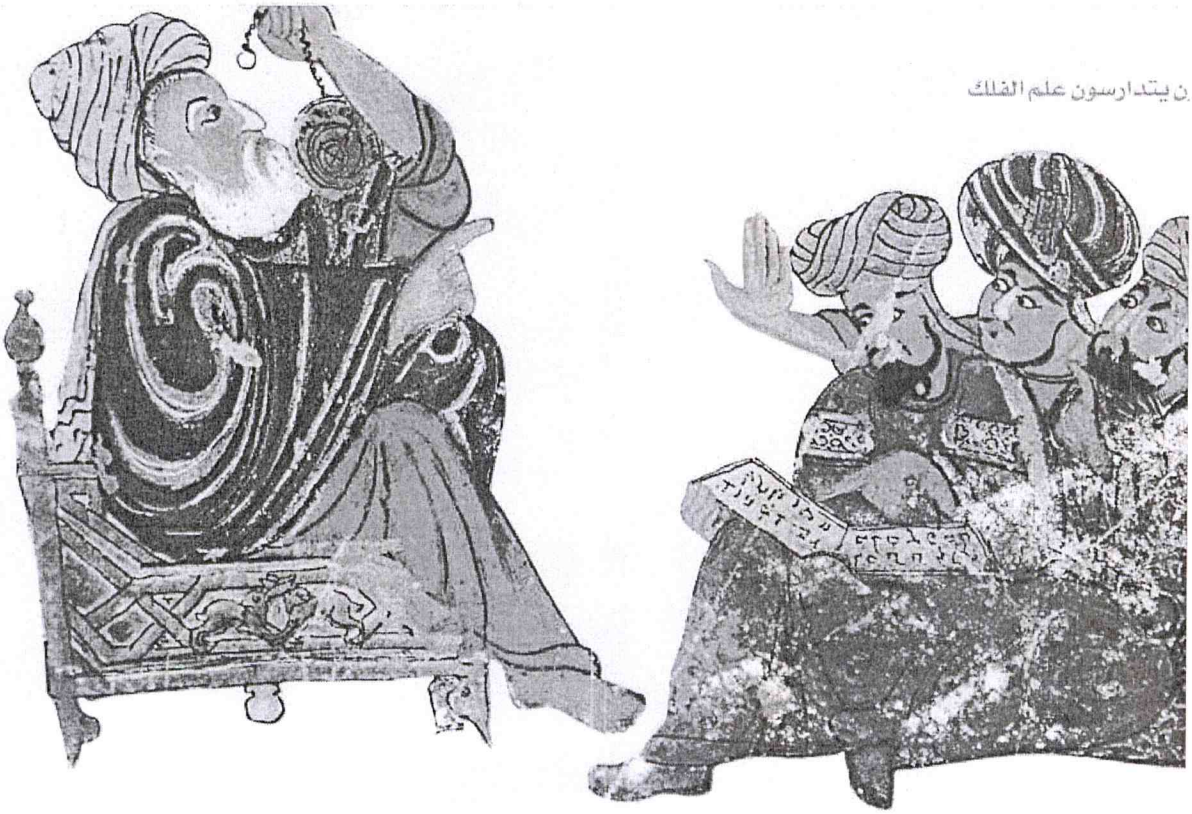
صدر: عبد الجليل التميمي:مرجع سابق،ص 34.

الملحق رقم06:خريطة هجرة مسلمي الأندلس إلى الجزائر



ناصر الدين سعيدوني:مرجع سابق،ص،44

ملحق رقم 6:صورة لمسلمي الأندلس وهم يتدارسون العلوم(تنوع العلوم)



طارق سويداني:مرجع سابق،ص،329

البيبيوغرافيا

أ/**المصادر:**

القرآن الكريم

السنة النبوية الشريفة

1/المصادر العربية :

1/ الأثير،**الكامل في التاريخ**، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي،ج2، ط2، المكتبة العلمية بيروت،دت.

2/ ألتر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا**، ترجمة محمود علي عامر،ط1،دار النهضة العربية بيروت1409ه/ 1989

3/ بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تعريب نبيه أمين فارس البعلبكي،دج، ط5، دار العلم للملايين، بيروت 1967م .

4/ البكري محمد بن أبي السرور الصديقي، **فيض المنان في دولة أل عثمان**، تحقيق ودراسة وتعليق عبد الرزاق عيسى، ط1، مكتبة الزهراء، شرق القاهرة مصر،2010م.

5/الحجري أحمد بن قاسم، **ناصر الدين على القوم الكافرين**، تحقيق وتقديم وترجمة، شوردفان كوتنكز وفلد قاسم السامرائي، خيراد فيخوز، دج، دط، دت.

6/ الحجري بن قاسم الأندلسي، **ناصر الدين على القوم الكافرين**، تحقيق محمد رزوق، دط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء المغرب 1987م.

7/ ابن خلدون عبد الرحمان، **مقدمة إبن خلدون**، تحقيق أبي عبد الرحمان عادل بن سعد، دط، الدار الذهبية، القاهرة،2006 م.

8/ الذهبي محمد ابن أحمد بن عثمان بن قماس، **سير أعلام البلاد**، تحقيق شعيب الأرزؤوط، ناصر محمد نعيم العرقوسي، ج18، ط9، مؤسسة الرسالة بيروت 1413ه.

9/ العذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**.

10/ عماد عبد الحي ابن أحمد العكي الدمشقي،**شظرات الذهب في أخبار من ذهب**،

11/كارديك لوي، **الموريسكيون الأندلسين والمسيحيون، المجابهة الجدلية،1492/1640م،مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا**، تعريب عبد الجليل التميمي، دج، ط1،مارس 1983م.

12/ المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، المجلد 2، دار البصائر بيروت،1408هـ/1988م.

13/المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج4،تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت،1988م.

14/ المقري بن أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس ،ج2، دار صادر بيروت،1388 ه ــ 1968م.

15/ المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبط وتحقيق وتعليق مصطفى السقى إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، ج1، مطبعة لجنة الأليف والنشر، القاهرة1358ه ــ 1939م.

16/ مؤلف مجهول، **ذكر أخبار مجموعة في ذكر فتح الأندلس وأمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دج، ط2، القاهرة بيروت 1410ه/1989م .

17/ مؤلف مجهول، **سيرة المجاهد خير الدين بربروس**، تحقيق تقديم تعليق عبد الله حمادي، دج، دط، دار القصبة للنشر 2009م.

2/المصادر الأجنبية:

1/ braudel Fernand, **the Mediterranean and Mediterranean world in the age of philipII,** volume one, transland from the French by sian Reynolds.

2/ Haédo le bénédic tin fray de diego,**topographie et histoire général d'alger**, traduire de l'espanol par:m ,m,le de,monnereau et a,berdrugger,en 1870,imprimé avalladolid en 1612.

ب/المراجع:

1/ المراجع العربية:

1/ إيرفنغ واشنطن، **أخبار سقوط غرناطة**، ترجمة هلاني يحى نصري، دج، ط1، 2000م.

باشا علي إسلام،**إسبانيا والأندلس**، دج، دط، الإسكندرية،2001م

2/ بشتاوي عادل سعيد، **الأندلسيون المواركة، دراسة في تاريخ الأندلس بعد سقوط غرناطة**، دج ،دط، القاهرة،2001م.

3/ الجيلالي محمد عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 1375ه ــ1955 م .

4/ حتاملة محمد عبده، **التهجير القسري لمسلمي الأندلسي عهد الملك فيليب الثاني، 1527م 1598م**، دج، ط1، عمان، الأردن،1403ه 1983م.

5/ دراج محمد، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512 ــ1543)**، تصدير ناصر الدين سعيدوني، ط1، 1433ه/2012م.

6/ الذنون عبد الحكيم، **آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري**، دج، ط1،دار المعرفة دمشق، 1408ه/1988م.

7/ ريبيرا خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة طاهرأحمد مكي، دج، ط2، دار المعارف1994م.

8/ الزيباري محمد صالح الطيب صادق، **سلاجقة الروم في أسيا الصغرى 470ه،634ه ــ 1077م،1237م**، ط1، دار دجلة، عمان، الأردن، 2007م.

9/ سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**،ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي1986 م.

10/ سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشرإلى الرابع عشر الهجري (16ــ20م)**، ج1، دط، الجزائر1981م.

11/ سعيدوني ناصر الدين، **دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، دج، ط2، البصائر، الجزائر، دت.

12/ السيد أشرف محمد الصالح، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، دج، ط1، الكويت 2009م.

13/ السيد محمود، **تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها** ،دج، دط، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية 2004م.

14/ شاكر محمود، **التاريخ الإسلامي**،دج ،ط4، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، دت.

15/سويداني طارق :**الأندلس التاريخ المصور**، ط1، تصميم وإخراج أسامة أسعد الفارس، مطابع المجموعة الدولية ــ الكويت، ربيع أول 1426ه ــ أبريل، نيسان 2005م

15/ الشطشاط علي حسين، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، عبده غريب، دج، دط، دار قباء، القاهرة، 2001م.

16/ الصلابي محمد محمد علي، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، دار القاهرة للنشر والتوزيع، 2001م

17/العسلي بسام، **خير الدين بربا روس والجهاد في البحر**، ط1، دار النفائس 1400ه1980م

18/ أبوعلية عبد الفتاح، **ياغي إسماعيل، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، ط3، دار المريخ، المملكة العربية السعودية،141 ــ ه1993م.

19/ عمر عبد العزيز عمر، **دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دج، دط، دار المعرفة الجامعية 1992م.

20/ عمران محمد سعيد، **حضارة أوروبا في القرون الوسطى**، دج،دط،دار المعرفة الجامعية،1998 م.

21/ عنان محمد عبد الله، **الأثار الأندلسية الباقية في إسبانياوالبرتغال، دراسة تاريخية أثرية**، دج، ط2، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الإسكندرية،1417ه/1997م.

22/ أبو غنيمة زياد، **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانين الأتراك**، ط1، عمان،1403 ه ــ 1983

23/ الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، **تاريخ المغرب والأندلس**، دج، دط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،1984م.

24/ قطب محمد علي، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس**، دج، دط.

25/ قنان جمال، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500م ــ1830م)**، دج، دط، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر،1987م.

26/ الكتاني علي المنتصر، **المسلمون في أوروبا وأمريكا**، تقديم نزهة بنت عبد الرحمان الكتاني، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1426ه ــ 2005م.

27/ الكتاني علي المنتصر، **إنبعاث الإسلام في الأندلس**، دج، ط1، بيروت لبنان، 1426ه ــ2005م.

28/ كوندز أحمد آق، أوزتوك سعيد، **الدولة العثمانية المجهولة 303سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**، د/ط، وقف البحوث العلمية ، 2008 م

29/ المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثة مائة سنة بين الجزائروإسبانيا 1492م ــ1792م**، دج، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1984م.

30/المطوي محمدلعروسي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1982م.

31/ وولف جون بول، **الجزائر وأوروبا(1500ـــ1830)م**، ترجمة: أبوالقاسم سعد الله، دج، دط،دار الرائد الجزائر1989م.

32/ يحياوي جمال، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين(1492ـــ 1610م)**، دار هومةللنشر والتوزيع، الجزائر2009م.

33/ يحيى جلال، **أوروبا في العصور الحديثة**، دج، دط، الفجر الإسكندرية،1981 م.

ب)المراجع باللغة الفرنسية:

1/Levice Amiral,jurien de la graviere:**les corsairs barbaesques,et lamarine de solaiman legrand**,paris1887

3/المجلات:

1/ التميمي عبد الجليل، **مجلة المغربية التاريخية سنة1974م**، عدد24.

2/صباغ ليلى، **ثورة مسلمي غرناطة عام 976ه أواخرعام 1568م والدولة العثمانية**، **مجلة الأصالة**، المجلد 12، العددين 28ـــ27، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،2011م.

3/عنان محمد عبد الله، **موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموما**، **الأصالة**، مجلة ثقافية، المجلد 12، العدد27 ـــ 28، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

4/ المدني أحمد توفيق، **إنهيار بلاد الأندلس وموقف دول الإسلام وإسطنبول من ذلك**، **مجلة الأصالة**، المجلد12، العدد27 ـــ 28، السنة الرابعة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م.

4/المذكرات:

1/ حمزة فائقة محمد، **بحري عبد الصمد، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا**، إشراف: أ/د يوسف علي رابح الثقفي، رسالة الماجستير،في التاريخ الإسلاميالحديث، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1409ه ـــ 1989م.

2/ دريسي حياة، **العلامة السلطانية والشعارات في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس منذ قيام الدولة الفاطمية إلى نهاية الدولة المرينية من خلال الوثائق والأثار**، إشراف: صالح بن قربة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الأثار، جامعة الجزائر،2010 ـــ 2011م.

3/ رضوان نبيل عبد الحي، **جهود العثمانيين لإنقاذ مسلمي الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث**، إشراف: محمد عبد اللطيف البحراوي، رسالة لنيل درجة دكتوره في التاريخ الإسلامي الحديث، ،أم القرى، السعودية1407ه/1987م.

4/ طيبي مهدية، **مقاربة للوضع الإجتماعي والإقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر القرن (17م ــ18م)**، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، إشراف: أ/فلة موساوي ــ القشاعي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، الجزائر،2008 ـــــ 2009م.

5/ يوسف مفيدة، **الجالية الأندلسية بالجزائروتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني لقرنيين السادس عشروالسابع عشر،(16 ــ 17م)**، إشراف: أرزقي شويتام، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، الجزائر2010ــ 2011م.

المقالات والندوات:

1/هلايلي حنيفي:**الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية**،جامعة سيدي بلعباس،الجزائر.

فهرسة الأماكن والأعلام

فهرسة الأعلام و الأماكن:

أ/ الأعلام:

ـــ أ ـــ

أحمد أبو علي الأشبوني ريس ص87.
أحمد الونشريسي ص74.
أحمد بن جمعة المغراوي الوهراني ص 74.
أرطغل ص10.
ألب أرسلان ص 9.
أورخان ص 11.

ـــ ب ـــ

بايزيد الأول ص 12.
بايزيد الثاني ص12،15،40،41،45
براق رئيس ص 52.
إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني ص86.
أبي البقاء صالح بن شريف ص 39.
أبي بكر بن المحرز البلنسي ص84.
أبي بكر بن سيد الناس الإشبيلي ص 84.
بلانكيو الريس ص87.
بيددرو نافارو ص87.

ـــ ج ـــ

الأمير جم ص15،39،62.
الأمير جوان ص27.

ـــ ح ـــ

أبي الحجاج يوسف ص 22.
الحسن علي بن سعد بن إسماعيل ص 23.
الحسن علي بن محمد الشيخ الوطاسي ص57.

حسن فينتريانو ص69.
حسن قورصو ص56.

— خ —

خمينيس ص 19، 28، 29، 34 .
خير الدين ص51، 53، 54، 55، 59، 63،86، 87.

— س —

سليم الأول ص59،13.
سليمان القانوني ص16، 45، 46، 49، 50، 52، 53، 57، 59، 63.
سنان رئيس ص52 .

— ش —

شارلكان ص59.

— ص —

صالح ريس ص55، 56، 57، 58.

— ع —

أبو عباس بن أحمد المالقي ص85.
أبو عبد الله الصغير ص 23، 24، 25 ،26، 27، 29 .
أبو عبد الله بن الأزرق ص85.
عبد الله بن الحداد الوادي ألآشي ص 85.
عبد الله بن محمد بن سعد(الزغل) ص 23، 24، 25.
أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى ص16.
أبي عبد الله محمد ص 22، 25 .
عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي ص16.
عثمان بن أرطغل ص 10.
عروج ص51، 59، 63، 86 .
علاء الدين السلجوقي ص 10.
العلج علي ص59، 60، 61، 62، 68.

ـ غ ـ

غونتالو القرطبي ص32.

ـ ف ـ

فرديناند ص 18، 19، 20،21، 22، 23، 24، 25 26، 28، 29، 31، 33، 34، 35، 38.

فرناندو دوفالو ص35.

فرنسوا الأول ص 59.

فيليب الثالث ص69، 70، 73.

فيليب الثاني ص38، 59.

ـ ق ـ

أبو القاسم الشاطبي ص16

قسطنطين ص12.

ـ ك ـ

كمال ريس ص45.

كورت أوغلو مصلح الدين رئيس ص52 .

الكونت دي تندلا ص26 ، 27، 31، 32 .

ـ م ـ

محمد الثاني (الفاتح) ص17،15،12، 39،27.

محمد باشا ص 60.

محمد بك ص60.

محمد بن الأحمر ص 14،23.

محمد بن العابد ص 86.

مراد الأول ص12.

مراد الثاني ص 12.

مصطفى قردفنش ص 79.

مولاي أبو الحسن ص18، 22، 29 .

— ي —

إيرناندو دي تالافيرا ص29.

إ يزابيلا ص18، 19، 21،22 ،23،31، 34، 35، 38، 53، 70.

أيقصا لاهورا ص 27.

يوسف إبن كماشة ص 27، 30.

يوسف بن تاشفين ص13،65.

ب/ الأماكن:

ــ أ ــ

أرغون ص 20، 21، 31، 32، 45، 65، 70، 73، 78.
إسترمادور ص 70.
إسرائيل ص 36.
أسكى شهر ص 10.
أسيا الصغرى ص09، 10.
إفريقيا ص 19، 20، 24، 28، 34، 38، 45، 52، 60، 74، 80، 85.
ألمانسا ص 70 .
الأناضول ص09، 15.
أندرش ص 24، 31.
الأندلس ص 13، 14، 15، 17، 18، 20،19، 22، 24، 25، 26، 27، 28، 30، 33، 34، 35، 38، 39، 40، 41، 45، 56، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 55،54، 56، 57، 58، 59، 59 ،60، 61، 62، 63، 64، 65، 67، 68، 69، 70، 71،78، 80، 82، 83، 84، 86.
أوروبا ص 11، 18، 19 ،21، 38، 51، 84.
إيطاليا ص 32، 49 .
إيطاليا ص 45.

ــ ب ــ

بجاية ص 65، 67، 73، 80، 81، 83، 84، 85.
البرتغال ص 14، 117، 18، 27، 28، 58،72، 73،74، 76.
البشرة ص 14، 24، 25، 29، 30 32، 34، 66.
بلنسية ص65، 67، 71، 73، 78.
البليدة ص 79.
البندقية ص 39.
البيازين ص 24، 29، 30، 34.

ـــ ت ـــ

تامنفوست ص 67.

تركيا ص 45.

تلمسان ص 24، 47، 56، 57، 67، 71، 73، 81، 84، 85.

تنس ص 83.

توقرت ص 56.

تونس ص 60، 65، 80.

ـــ ج ـــ

الجزائر ص 15، 47، 48، 51، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 65، 66، 67، 68، 70، 71، 72، 73، 74، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87.

جيان ص 32.

ـــ د ـــ

الدولة العثمانية ص 09، 10، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 38، 39، 45، 50، 51، 52، 57، 58، 59، 60.

دولة بني الأحمر ص 21، 22.

ـــ ر ـــ

الأرغوز ص 09.

رودس ص 50.

ـــ س ـــ

إسبانيا ص 12، 16، 17، 18، 19، 20 ،21، 23، 25، 27، 28، 29، 30 33، 34، 35، 38، 45، 46، 49، 52، 72، 76، 81.

إستنبول ص 45.

السلاجقة ص 09، 10.

سوريا ص 50.

ـــ ش ـــ

شبه الجزيرة الإيبيرية ص20، 31، 60.

إشبيلية ص 31، 66، 67.
شرشال ص 47، 73، 79، 81، 86، 87.

ـ ط ـ

طرابلس ص 26.
طليطلة ص 13، 31، 33.

ـ ع ـ

عنابة ص 73، 79.

ـ غ ـ

غرناطة ص 14، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 32، 33، 34، 35، 38، 45، 47، 66، 67، 68، 77، 82 ،83.

ـ ف ـ

فاس ص 28، 56، 57، 86.
فرنسا ص 32، 39، 70.
فلسطين ص 36.

ـ ق ـ

قرطبة ص 24، 32، 33، 65، 67.
قسطنطينية ص 12، 17، 26، 49.
قسطينة ص 80 ،81.
قشتالة ص 17، 18، 19، 20 21، 22، 24، 25، 30، 31، 32، 65.
قلعة بني راشد ص 80 .
قليعة ص 79، 80.

ـ ك ـ

كالونيا ص 68.
كردستان ص 09.

ـ م ـ

مازغران ص 61.

مالطا ص 45.
مالقة ص 22، 23، 24.
مجر ص 39.
المدية ص 79، 86.
مراكش ص 57، 58.
مرسى الكبير ص 58.
مستغانم ص 61، 71، 73، 79.
المسيلة ص 56.
مصر ص 15، 50.
مضيق جبل طارق ص 26.
المغرب ص 28، 41، 48، 63، 65، 66، 68، 72، 84.
مليانة ص 79، 83.
مليلة ص 28، 57.

— و —

وادي آش ص 24.
ورقلة ص 56.
وهران ص 24، 57، 58، 65، 71، 73، 79، 82.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
إهداء	
المقدمة.....	01 08
المبحث التمهيدي: الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية.....	09
1ـــ طبيعة الدولة من حيث النمو والإمتداد	09 ـــ 13
2ـــ حالة المجتمع الإسلامي قبيل الحروب الصليبية.....	13 ـــ 14
3ـــ أسباب سقوط الأندلس.....	14 ـــ 16
4ـــ دور السلاطين العثمانيين بايزيد وسليمان القانوني.....	17
المبحث الأول: ظروف بلاد الأندلس خلال القرنين السادس عشروالسابع عشر.	**18**
المطلب الأول: مصادر قوة إسبانيا وإستكمال وحدتها.....	18 ـــ 19
المطلب الثاني: الصراع على الملك وضياع مملكة غرناطة	21 ـــ 27
1ـــ سيطرة إسبانيا على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.....	20 ـــ21
2ـــ أسباب سقوط غرناطة.....	21 ـــ23
3ـــ شروط التسليم.....	23 ـــ 25
4ـــ تسليم غرناطة (سقوطها أو ضياعها).....	25 ـــ 27
المطلب الثالث: سياسة ملوك إسبانيا في مواجهة مسلمي الأندلس وبداية تصفيتهم	28 ـــ 37
1ـــ القوى الإسبانية في إضطهاد مسلمي الأندلس.....	28
2ـــ سياسة الملكين الكاثولوكيين في قمع مسلمي الأندلس.....	29
أـــ إنتفاضة البيازين.....	30
ب ـــ ثورة	31
البشرات.....	
ج ـــ محاكم التفتيش.....	31 ـــ

34
الخلاصة..... 34 ـ 35
المبحث الثاني: بداية التحرش الإسباني بمسلمي الأندلس وطلبهم النجدة. 37
المطلب الأول: بداية إستنجاد غرناطة بالدولة العثمانية..... 37 ـ 48
1ـ موقف السلطان العثماني بايزيد الثاني ..... 37 ـ 39
2ـ رسالة مسلمي غرناطة إلى بايزيد الثاني..... 39
...
3ـ رسالة الإستغاثة التي أرسلها الأندلسيون على شكل قصيدة شعرية إلى بايزيد 39 ـ 44
الثاني
4ـ نداء الإستغاثة الموجه إلى السلطان سليمان القانوني..... 44 ـ 48
المطلب الثاني:دور المؤسسة الإنكشارية في عهد سليمان القانوني ..... 48 ـ 54
1ـ دور الجهاد البحري 48 ـ 50
.....
2ـ مساهمة خير الدين بربروسة في إنقاذ مسلمي 50 ـ 51
الأندلس.....
3ـ رسالة الإستغاثة الموجهة إلى خير الدين بربروسة 52 ـ 53
.....
المطلب الثالث: خطة إستعادة الأندلس في عهد صالح رايس..... 54 ـ 55
1ـ سياسة رايس صالح..... 54 ـ 55
2ـ الإستيلاء على فاس..... 55 ـ 57
المطلب الرابع: جهود البايلرباي القلج علي..... 57 ـ 61
1ـ سياسة القلج علي في إنقاذ أهل الأندلس..... 58 ـ 61
الخلاصة ..... 61 ـ 62
المبحث الثالث: الهجرات الأندلسية إلى الجزائر أنموذجا..... 64 ـ 89
المطلب الأول: الهجرة ومراحلها..... 64 ـ 65
أـ المرحلة الأولى..... 65 ـ 67

ب ــ المرحلة الثانية..... 67 ــ 69
ج ــ المرحلة الثالثة..... 69 ــ71
المطلب الثاني: ظروف الإنتقال..... 71 ــ 73
المطلب الثالث: موقف العلماء من الهجرة أو البقاء..... 73 ــــ77
أــ الفتوى الأولى 73 ــ 74
للونشريسي.....
ب ــ تأكيد الفتوى 74 ــ 75
.....
ج ــ الفتوى لأحمد بن جمعة 75 ــ 77
المغراوي.....
المطلب الرابع: تأثير مسلمي الأندلس على الجزائر في مختلف المجالات ..... 78 ــ 89
1ــ التأثيرات الإقتصادية..... 78
أــالزراعة..... 78
ب ــ الصناعة ..... 78 ــ 80
ج ــ النشاط التجاري والخدمات 80 ــ 81
الإدارية.....
2ــ التأثيرات 81 ــ 83
الإجتماعية.....
3ــ التأثيرات الثقافية 83 ــ 85
.....
4ــ الدور العسكري للأندلسيون بالجزائر(تحصينها والدفاع 85 ــ 86
عنها).....
الخلاصة..... 86 ــ 88
الخاتمة ..... 89 ــ 91
الملاحق..... 93-107
قائمة البيبلوغرافيا..... 109 114

فهرس الأعلام والأماكن..... 117 125

الفهرس..... 125 127